الدكتور مازن شندب



حزبُ اللّه وسُنّة لبنان

المصارحة الكبرى

(دراسة حالة.. انتخابات ٢٠١٨)

حزبُ الله وسُنّـــة لبنان

المصارحة الكبرى

(دراسة حالة..انتخابات ٢٠١٨)

الدكتور مازن شندب

استاذ القانون العام والعلوم السياسية في الجامعات اللبنانية

باحث متخصص في قضايا الارهاب

E-mail:dr.mezenchendeb@gmail.com

اهداء

الى وردة في شهرها الرابع
الى من بولادتها فاضت الحياة سعادة
الى تلك الابتسامة الصباحية العابرة للقلوب
الى ابنتي مريم

المحتويات

مدخل

في خضم أزمة الانقسام الحاد في المنطقة، حيث الصراع يأخذ أكثر من عنوان، من السياسي الى القومي وصولاً الى الطائفي والمذهبي، وذلك قبل «الربيع العربي» ومعه ومن ثم بعده، تبقى مسألة لبنانية في غاية الحساسية والاهمية، مرتبطة ارتباطاً لا يمكن فكه بأزمات المنطقة وتحتاج الى دراسة متأنية، ونقصد بذلك مسألة واقع العلاقة بين حزب الله وسُنّة لبنان.

واني اذ احدد وأقول «حزب الله وسُنّة لبنان»، فذلك من باب القصد والتدليل، فالمسألة اللبنانية هي سياسية وليست مذهبية او طائفية، فلو كان الصراع في لبنان مذهبيا لبدلت العنوان وقلت «شيعة لبنان وسنته».

ورب قائل يقول وهو محق بقوله، انه كان حريّ بي ان أعنون وأقول «حزب الله وتيار المستقبل او تيار العزم والسعادة» مثلا، فهكذا اضع المناظرة بين حزبين ينتميان الى طائفتين، والرد على هذا الكلام هو ان شيعة لبنان أقله حاضراً وأمساً قد قرروا توجهاتهم السياسية،

من خلال الثنائي الشيعي المتمثل بحزب الله وحركة أمل الذي، أي الثنائي، يمثل الغالبية الاكثر من ساحقة من الطائفة الشيعية الكريمة، وبالتالي فهذان الحزبان والطائفة الشيعية هما وجهان لعملة واحدة، في حين ان الامر ليس على هذا المنوال عندما نتحدث ونقارب في عنوان السنية السياسية. فمن يمثل سُنّة لبنان في السياسة ولمن اعطت هذه الطائفة صوتها وصداها في الصراع السياسي المشروع على بقعة «الديمقراطية» اللبنانية؟

لعل أكثر ميدان يمكن ان يساعد في معالجة تلك العلاقة هو الميدان الانتخابي لما فيه من تنافس وصراع سياسي، يمكننا ان نبني على أساسه المعادلات السياسية التي وقفت وراء اعدادنا للبحث.

وبذلك، فإن البحث الذي بين أيدينا، وان كان ميدانه الرئيس الانتخابات النيابية التي حصلت في السادس من أيار ٢٠١٨، الا ان هذا الميدان ليس هو غاية الدراسة البحثية وانما هو الوسيلة التي لجأنا إليها لمعالجة بحثنا. لذلك وضعنا في عنوان الكتاب عنواناً تفصيلياً صغيراً وهو «دراسة حالة..انتخابات ٢٠١٨».

المقدمة

ربما يصح القول بأن الإستحقاق الإنتخابي لعام ٢٠١٨ يحمل مجموعة من الأبعاد تتوج بالبعد الإستراتيجي، فالمنطقة، منطقة الشرق الأوسط، تمر بمرحلة يمكن وصفها بالمصيرية، فالصراع الدولي - الاقليمي بات في مراحله الأخيرة التي تنتظر قرار الحسم.

ذلك ان الحرب السورية التي تحولت إلى دولية بعد اقتحام الميدان السوري أكثر من عنصر أجنبي، بدءاً بطلب النظام السوري النجدة من الحليف الدائم روسيا- بوتين وصولاً الى إيران التي يقتضي مشروعها عدم استبدال نظام الأسد بنظام آخر، ومروراً بحزب الله الذي دخل الميدان السوري عسكرياً كي لا تسقط واسطة العقد سوريا فيكون بداية لسقوط الحزب وسلاحه، هذه الحرب شكلت الميدان الذي منه سيتقرر مصير المنطقة برمتها.

واستكمالاً لذلك، فلا يمكن ان يختلفنّ إثنان حول حقيقة تقول ان النظام في سوريا كان في طريقه نحو السقوط والزوال لولا الحلفاء الذين سارعوا إلى تشكيل قيادة مشتركة بزعامة روسية، فبدأ الزحف نحو سوريا لمؤازرة الرئيس بشار الأسد ومن بقي معه من الجيش العربي السوري بعدما انشق آلاف منه ليشكلوا برعاية إقليمية ما سمي بـ «الجيش السوري الحر».

ولقد اقتدر الحلفاء على إيقاف المد «الثوري» نحو دمشق بعدما سقطت حمص وحلب ومدن سورية أخرى بيد المعارضين للنظام من أبناء المدن والقرى والقصبات السورية، فعاد الأوكسيجين من جديد إلى جسد النظام الذي استعاد تدريجياً كل ما خسره من الجغرافيا لتبقى الديمغرافيا رسالة انتقام تنثر وعودها داخل سوريا وخارجها.

أما لبنان، فحلّ في طليعة هذا الخارج، فالقوات العسكرية التابعة لحزب الله اللبناني، وكما يجمع الخبراء العسكريون، لعبت دوراً ريادياً في تثبيت النظام من خلال قهرها للفرق «الثورية» السورية بدءاً من مدينة القصير ووصولاً إلى أرياف وحارات حلب.

وعند متابعة الحجج والأسانيد التي امتشقها حزب الله لتبرير دخوله العسكري إلى عاصمة الأمويين، نجده يمرحل هذه الحجج والذرائع دون ان يصرّ على واحدة منها، ففي بداية التدخل العسكري تذرع الحزب بلجم الفتنة متخذاً من حماية ضريح السيدة زينب عليها السلام في الشام الحجة الأولى، وعندما اقتنع الكل بقدرة الحزب على حماية الضريح ذهب الحزب إلى حجة ثانية وثالثة ورابعة توجت بمحاربة «التكفيريين»، فلن ننتظر داعش لتدخل علينا في لبنان، بل علينا الذهاب إليها ومقاتلتها في جحورها، هكذا وقّع السيد حسن نصر الله بيانه الأخير بخصوص سوريا واقتحام قواته العسكرية لجغرافيتها.

وبالمناسبة، فبالرغم من ان الأمين العام لحزب الله بقي في سوريا، إلا أنه وفي خضم المعركة الانتخابية في لبنان، عاد ليتخذ من داعش والنصرة الارهابيين درعاً انتخابياً يقي الحزب استباقياً من أي خرق للائحة الحزب – الحركة في دائرة بعلبك– الهرمل، والتي أسند لها إلى جانب الردع رمحه المقاوم، فمن يقترع للائحة الحزب والحركة يمارس فعل المقاومة، على حد قول قادة في حزب الله.

وبموجب هذه المقاربة الجديدة التي فرضتها الانتخابات النيابية، لم تعد المقاومة مجرد فعل عسكري ضد العدو الصهيوني، بل أضحى عدم الاقتراع للمنافسين والخصوم والاقتراع للحزب بمثابة العمل المقاوم.

وعندما نعلم ان حزب الله طوّر عقيدته الجهادية على خلفية الحرب الدائرة في سوريا، وذلك عندما وضع الصهاينة وداعش والنصرة وسائر «التكفيريين» في لائحة واحدة، عاد ليضم إلى هذه اللائحة كل من يقف بوجهه في دوائره الخاصة وبخاصة في البقاع الشمالي، حيث المقاعد العشر التي يجب ان يفوز حزب الله بتسعة منها وحركة أمل بواحد وهو غازي زعيتر.

وإذا ما دخلنا في التفاصيل الانتخابية قليلاً، وعملنا على حسبان وعدّ حلفاء «الارهابيين والتكفيريين»، لما عثرنا سوى على خصمين سياسيين لحزب الله وهما تيار المستقبل وحزب القوات اللبنانية التي وضعت ثقلها

في دائرة بعلبك– الهرمل ورشحت أحد كوادرها المهمين الدكتور أنطوان حبشي.

ولأن وضع الارهابيين مع القوات وهو الحزب المسيحي المستهدف مثله مثل حزب الله من داعش والنصرة أمر غير سوي وغير منطقي البتة، نتوصل إلى نتيجة واضحة تقول ان حزب الله يضع سعد الحريري في نفس الخانة التي يضع فيها قادة التكفيريين والارهابيين.

هذا الوضع وتلك الوضعية، منهما تبدأ دراستنا بنيل أهميتها. والسؤال هو: ألهذا الحد يعول حزب الله على هذه الانتخابات؟ وألهذه الدرجة يستشرف الحزب مخاطر نتائج سياسية دراماتيكية يمكن ان يفرزها الاستحقاق المنتظر؟

يقارب السيد نصر الله معركته الكبرى في بعلبك الهرمل بالقول أنه على استعداد ان يذهب شخصياً ولو تعرضت حياته للخطر، إلى كل بيت في البقاع الشمالي لدفع ساكنيه إلى ممارسة فعل المقاومة والتصويت للوائح الحزب، لا بل ويذهب السيد نصر الله مباشرة للتعبير عن مقصده وغايته من عملية الدفع والتحريض الانتخابي، والمتمثل في رفع الحاصل الانتخابي، وذلك كي يفشل تحالف الخصوم المشكّل من المستقبل والقوات وبعض النافرين الشيعة من سياسة الحزب في الوصول إلى عتبة الفوز، فيحصل الحزب على المقاعد كلها.

تلك استماتة تتجاوز خلفياتها إحتمالية الخسارة لمقعد

هنا أو مقعد هناك، لترتبط بهواجس بعيدة المدى يدركها عبقريّ حزب الله السيد حسن نصر الله.

قلت في أحد كتبي ان حسن نصر الله هو كل حزب الله السياسي ونصف حزب الله العكسري. أجدني اليوم متمسكاً أكثر بما قلته وأضيف قائلاً: ان السيد حسن نصر الله هو كل حزب الله الانتخابي، لدرجة يمكن القول معها ان حزب الله لا يحتاج لماكينة انتخابية سوى لعد الحواصل والأصوات والمقاعد والأوراق المحسوبة وتلك الملغاة.

كم قوي هذا الرجل وكم يملك من قدرة تجييش جماهيري لا ينافسه فيها أحد.

ماذا يريد حزب الله من الانتخابات، ولماذا رفع سقف الخطاب السياسي الذي لم يذكرنا إلا بعبارة السيد الرائعة «ما بعد بعد حيفا»، عندما دكّ عمق العدو الاسرائيلي وأحال جنوده ومستوطنيه فئراناً تفر من صوت ناتج عن كاتيوشا. فماذا يراد من الانتخابات؟ وهل ان المسألة هي الاستحقاق ام ما بعد بعد الاستحقاق؟.

لكن سُنّة لبنان لطالما أحبوا وعشقوا سيّد المقاومة مثل كل الجماهير العربية «السنية»، يوم كانت البندقية موجهة ضد العدو الأبدي إسرائيل، غير ان حزناً تراكمياً أصاب مجموع السُنّة، يمكن وضعه بين العتب والحذر، عندما شعروا بأنهم ليسوا بمأمن، فالسابع من أيار الانتخابي له

ذكرى بشعة أشد البشاعة.

ماذا يريد السيد نصر الله من سُنّة لبنان، وهل هو يريدهم أم يريد لهم؟ وهل ان هاجسهم قابل للتفهم أم فيه كثير مبالغة؟

دعونا ننهي هذه المقدمة بعبارة أعتقد ان فيها شيئا من الصحة، إذ يقول السيد نصر الله في قرارة نفسه: خذوا من حزب الله كل شيء واعطوه فقط سُنّة لبنان..

وان مقاصد هذه العبارة وغيرها مع الإجابة عن الأسئلة التي قدمنا بطرحها سوف تكون في فصول الكتاب الخمسة.

فصل تمهيدي: فلسفة سياية – حقوقية للقانون النسبي

فصل أول: حزب الله بين عقيدة المشروع وعقدة المشروعية

فصل ثاني: معركة بعلبك – الهرمل وأسرارها

فصل ثالث: حزب الله بين مقارعة التيار ومقاومة الإعصار

فصل رابع: سعد الحريري بين الخرزة الزرقاء والمخرز الاصفر

فصل تمهيدي

فلسفة سياسية – حقوقية للقانون النسبي

مذ لحظة إقرار قانون الإنتخابات في المجلس النيابي بمادة واحدة والجدل في لبنان لم يتوقف حول عدالة هذا القانون وأفضليته عن القانون الأكثري الذي كان سائداً في كل الإنتخابات النيابية السابقة وان تغيرت الدوائر بين انتخابات وأخرى. وقد انقسم اللبنانيون بين مؤيد لهذا القانون ومعارض له.

وفي عملية التقييم لقانون الانتخابات الجديد، تعددت المقاربات والنزوات ان صح التعبير، بمعنى ان كل لبناني بدأ يقيّم هذا القانون من زاويته ومن مصلحته الضيقة، فلا يوجد معيار واحد لدى اللبنانيين يقيمون على أساسه القانون المطروح.

لكن ما هو الأساس العلمي والقانوني الذي على أساسه يجب ان يتم تقييم قانون الانتخابات؟

مرة أخرى يخطئ الساسة في لبنان لا بل ويخطئ معهم العديد من المثقفين وذلك عندما يعتبرون ان قانون الانتخابات هو قانون للطبقة السياسية بشقيها الحاكم والمعارض. فالحقيقة تقول ان قانون الانتخابات في كل

دول العالم هو ملك للناس، وذلك لأن الدولة بأكلمها هي ملك للناس، للشعب، فالدولة ما هي إلا الشكل المتقدم للتنظيم السياسي الذي من خلاله تتحقق مصالح الأمة، لذلك جاء في المادة ٢٧ من الدستور اللبناني ان النائب يمثل الامة جمعاء، ولذلك أعطى الدستور للنائب حصانة سياسية – قانونية، فالحصانة هي لأجل الأمة وهي ليست تشريفاً أو تكريماً أو سمواً للنائب المنتخب.

إذن الأمة هي المحور، وهي الغاية وكل من يمارس السلطة هو خادم في هذا المحور وفي سبيل تحقيق هذه الغاية.

وبذلك فالانتخاب هو امتياز يجعل الفرد يشعر بنعمة القوة، القوة القانونية، وبالمعنى الفلسفي فإن الانتخاب هو اعتراف من الآخرين بوجود آخرين، والآخرين هم الاقوياء والاغنياء الذين دفعتهم المآزق الاقتصادية ليعترفوا ان ثمة وجودا لغيرهم[1].

ومرة أخرى نقول: ولكن لماذا قانون الانتخابات هو ملك الناس وملك الأمة؟

الإجابة هي ان في طليعة حقوق الانسان العالمية هناك حقوق تسمى «الحقوق السياسية»، وان أهمّ جقين سياسيين هما، حق الانسان – المواطن في الانتخاب وحق الانسان – المواطن في الترشح. ويعني هذان الحقان، أولاً حق الانسان في اختيار وصناعة السلطة السياسية وثانياً حقه

في ان يكون جزءاً من هذه السلطة.

وإذا ما بدأنا في الحق الاول، أي حق الانسان- المواطن في اختيار وصناعة السلطة السياسية، ووضعنا قانون الانتخابات في ميزانه وليس العكس، فما النتيجة التي يمكن ان نحصل عليها؟

بمعنى آخر، هل ان قانون الانتخابات الراهن يؤمن الإرادة الحقيقية للمواطن اللبناني في اختيار السلطة الحاكمة في ظل نظام برلماني متوازن؟

هذا هو السؤال الجوهري والكبير الذي تهرب الطبقة السياسية في لبنان من الإقتراب نحوه. فهو بالنسبة لها النار والموت. وفي واجب الإجابة عن هذا السؤال، نقول الآتي:

ان الوصول إلى الحديث عن انتخابات وقانون انتخابات في لبنان لا بد ان يمر حتماً على حاجز مصطلح «الحياة السياسية»، فهل يوجد في لبنان حياة سياسية حقيقية فعلاً؟

الجواب برسم جميع اللبنانيين، ومن جهتي أقول أنه لا يوجد في لبنان على الإطلاق حياة سياسية ولم يتذوق اللبنانيون منذ عقود طعم «المشاركة السياسية».

ان السياسة في لبنان هي أمران لا ثالث لهما: هي الاستقواء والمال. لذلك فإن مقولة المفكر دولة الرئيس سليم الحص بأن في لبنان الكثير من الحرية والقليل من

الديمقراطية هي مقولة صحيحة، وصحتها مطلقة ولا تقبل النقاش.

وان سقوط الزعامات والأحزاب التقليدية في لبنان لهو أكبر دليل على ذلك، دون ان يعني ذلك ان الساقطين أفضل من الحاضرين. لكن هؤلاء سقطوا لأن الباكوية والأفندية سقطتا ليحل محلهما الإستقواء والمال وهما أسوأ. وحينما تكون الكلمة للإستقواء والمال يكون عامة الناس مجرد أرقام وأصوات في صناديق.

وبالعودة إلى قانون النسبية المعتمد حديثاً في لبنان، فمما لا شك فيه ان هكذا قانون يستوجب تحقيق شرطين أو شرط مزدوج، والمتمثل بوجود أحزاب حقيقية تتصارع وتتنافس على خلفية برامج سياسية حقيقية وليس على خلفية أي اعتبار آخر. فالمواطن يقترع لحزب أو لرؤية أو لنظرية سياسية اجتماعية اقتصادية متكاملة وليس لشخص. يقول مثقفٌ لبنانيٌ في هذا الصدد: أخبروني منذ متى ينتخب اللبناني لرؤية أو نظرية، إنه أشبه بمريض السكري الذي يقول له الطبيب كل مزيداً من السكر فإما تموت أو تموت.

وإضافة الى هذا وذاك، يُدس السم بين السكر فيكون الموت مؤكدا ومحتما، إنه الصوت التفضيلي الكفيل بإقتلاع ما تبقى من تضامن اجتماعي، حيث الصوت الفتنة. وحيث الطائفية التي أكلت ولم تزل تأكل الأخضر واليابس. فالمسيحي في طرابلس حيث أجبر القانون

مسلموها ان يقترعوا لمسلم في صوت تفضيلي، سيخرج بعد الانتخابات ليقول وهو محقاً: انظروا الطائفية عند المسلمين السُنّة.. لم يعطوا صوتاً تفضيلياً واحداً للمرشح المسيحي. والأمر نفسه سيحصل في دوائر أخرى يغلب فيها الصوت المسيحي. ويبدو ان السيد نصر الله كان عليه ان يدرك ان مسيحيي كسروان وجبيل سوف لن يمنحوا لائحته أصواتا «مقاومة»، فتفشل اللائحة في نيل الحاصل الانتخابي ويخسر حسين زعيتر ويربح جبران باسيل الذي تحدى سيد المقاومة في جبيل[٢].

وبالفعل كانت قاسية خسارة حزب الله معركته لا مقعده في معقل الموارنة، وقد يكون لتلك الخسارة تداعيات غير قليلة الشأن في العلاقة بين الحزب والباسيلية السياسية.

وفق هذه الرؤية يجب ان ننظر إلى قانون الانتخابات، وفق مرضنا وعقدنا الطائفية والمذهبية، فالذي يحتاجه اللبنانيون ليس قانوناً عادلاً، وانما قانون نقبل ان يخسر فيه الجميع ليربح الوطن، لا قانون يربح فيه البعض ويخسر الوطن.

نحتاج لقانون انتخابات يجعل المسيحي مقراً ومعترفاً علناً وجهراً ان سعد الحريري هو فعلاً قائد وزعيم ووطني.

نحتاج قانون انتخاب يجعل المسلم مقراً ومعترفاً علناً ان ميشال عون هو فعلا وطني وعادل وعابر للطوائف.

نحتاج لقانون انتخاب يقول لحزب الله تعالى لنحول

لبنان معاً من ولاية إلى دولة فلا تبنى دولة ومدماك حزب الله غائب عنها أو مغيباً أو مهاجراً كطيور لبنان في تموز قبل أيلول.

قد نكون مخطئين في فهمنا للأمور، فالذي يحتاجه اللبناني ليس قانون انتخاب عصري وعادل وحديث، وانما الدولة، القوية والعادلة والقادرة على بسط هيبتها وقدرتها وهالتها على كامل الجغرافيا اللبنانية؛ الدولة التي تملك مقومات الدفاع عن نفسها أولاً، وتأمين احتياجات وحقوق مواطنيها ثانياً.

ان مثل هكذا دولة تمثل الحل الوحيد لتخليص اللبنانيين من سطوتين، سطوة من يستغل قلة بأس الدولة فيطرح نفسه كحل لا بد منه، وسطوة من يستغل فقر حال الدولة فيطرح ماله كشر لا بد منه.

إذن فلنسجل معا، ان أقوى وأشرس وأبشع سلاحين تخاض بهما الانتخابات النيابية في وطننا هما، ومرة أخرى، وبالدليل القاطع، الإستقواء والمال.

لذلك، فالذي ينتظره اللبنانيون ليس بإنتخابات، وانما أشبه بموسم حصاد تحال فيه دورية الانتخابات كعمود فقري للديمقراطية إلى تاجر يشتري حصاد الكادح بأبخس الأسعار وشاويش يحرس الحقول مقابل سمسرة أو عمولة، وهكذا يكون العمود الفقري للدولة مطحونا لدرجة لن يكون هناك من داع للغربال.

الفصل الاول

حزب الله بين عقيدة المشروع وعقدة المشروعية

- **المبحث الاول: حزب الله وعقدة الميثاقية**

منذ إقرار قانون الانتخاب الجديد، ولدت هواجس كبيرة لدى فئات واسعة من اللبنانيين، بشأن إمكانية حصول حزب الله على أكثرية مطلقة، في المجلس النيابي الجديد. فبعد ذهاب سكرة إنجاز القانون، ومجيء فكرة الحسابات بعقل بارد، أصبح الجميع أمام قناعة واضحة، وهي أن محور حزب الله سيحصل على الأكثرية النيابية، وربما بالاستناد إلى بعض التحالفات الانتخابية يمكنه الحصول على أكثرية الثلثين. وان هذه الأرقام تدفع كثيرين إلى التخوف من أن لبنان كله سيصبح خاضعاً لسيطرة حزب الله.

فكان السؤال الأكثر طرحاً في الأوساط السياسية هو: هل سيستطيع حزب الله السيطرة على لبنان بعد الانتخابات المقبلة؟

يعارض كثيرون هذا السؤال بالاستناد إلى أن لبنان هو بلد محكوم بالتوافق حتما، وأن التوافقية الطائفية فيه وعليه تمنع أي طرف من الاستئثار بالسلطة.

يصحّ هذا الكلام من الجانب النظري، أما من الجانب العملاني، فإن حزب الله لا يحتاج إلى الانتخابات النيابية

وفق القانون الجديد للسيطرة على القرارات في لبنان. هو قادر على ذلك ويمارسه منذ سنوات، ففي العام ٢٠٠٩، حققت القوى المناهضة للحزب انتصاراً مدوياً، لكن في اليوم التالي اضطرت هذه القوى إلى إعلان الاستعداد للذهاب نحو تسوية توافقية لإنتاج الحكومة. حينها، سقطت نتائج الانتخابات.

ولكن، هلّ يصحّ انعكاس الآية في الانتخابات المقبلة؟ بمعنى، هل إذا ما حصل حزب الله على الأكثرية النيابية، سيخرج منتصراً ولكن يعلن مد اليد إلى خصومه والذهاب نحو تسوية توافقية؟

بعض المتشائمين يعتبرون أن الحزب غير مضطر إلى ذلك، خصوصاً أن لديه كثيراً من الحلفاء الذين سيوفرون له غطاء ميثاقياً لتكوين سلطة ما بعدَ الانتخابات، لكن الحزب لا يفكر بهذه الطريقة.

في نظرة الحزب الثابتة للواقع اللبناني، فإنه مهما بلغت قوة أي طرف سياسي، لا يمكن لهذا الطرف أن يسيطر على البلد، ولا يمكن لأي فريق أن يشكل حكومة من طرف واحد. بل يجد حزب الله أن من مصلحته الاستراتيجية هو الذهاب إلى تحالفات واسعة، تضم مختلف القوى السياسية ليوفر الغطاء الشرعي الأكبر حوله. وسيطرة الحزب على السلطة السياسية قد ينجم عنها عقوبات وإجراءات دولية غير محسوبة وتؤدي إلى مخاطر كبيرة في الداخل اللبناني. لذلك، هو لا يريد أن يمنح هذه الورقة لخصومه. الأساس أن هناك ترويكا لا يمكن تجاوزها، وإن لم تكن

مثبتة في الدستور لكنها أصبحت مكرسة بالعرف[١].

- **المبحث الثاني: حزب الله وعقدة الاستقواء بالسلاح**

إنّ أية مقاربة لإنتخابات ٢٠١٨ بمعزل عن الانتخابات السابقة في العام ٢٠٠٩ هي مقاربة ناقصة وتُبقي صاحبها بعيداً من تلمّس الوظيفة السياسية للعملية الانتخابية العتيدة. إذ إنّ انتخابات ٢٠١٨ ستكون في جزء أساسي منها ردّا على نتائج الانتخابات الماضية وإن لم تمارس الأكثرية النيابية وقتها أكثريتها بفعل الواقع السياسي والأمني الذي كان قد نشأ في البلد وترسّخ بعد أحداث ٧ أيار الشهيرة.

هذه المرّة لن يسمح حزب الله بالطبع بأن يُغلب في الانتخابات كما في المرات السابقة، حتى ولو كانت لديه القدرة على تعطيل مفاعيل أي غلبة نيابية ضدّه، طالما أنّ قدرته على تعطيل أي غلبة مماثلة لا تعني أنّه لم يخسر وأنّه فشل في تحقيق النتيجة السياسية التي توافق حجمه محلياً وإقليمياً.

في هذا السياق، من المفيد التذكير بالنظرية التي خرج بها السيد حسن نصرالله عقب الانتخابات التشريعية لعام ٢٠٠٩ والتي تحدث فيها عن أكثرية شعبية لمصلحته وحلفائه مقابل أكثرية نيابية لخصومه، وهي نظرية أخذ بها لاحقاً التيار الوطني الحر. فهذه النظرية ليست في النهاية سوى تشكيك بنتائج هذه الانتخابات وتعبير مضمر

عن الخسارة السياسية التي مني بها الحزب وحلفاؤه بعدما كانت موازين القوى محلياً وخارجياً تميل لمصلحتهم.

هذه المرّة لا يريد الحزب أن يجد نفسه مجدداً أمام برلمان «غير مضمون" بأكثريته النيابية وتوازناته. وهذه مهمّة معقدّة ولن يكون من السهل على الحزب تأمينها [٢].

- **المبحث الثالث: حزب الله وعقدة الإنقلاب**

مع بدء العدّ العكسي للانتخابات النيابية المفترضة في شهر أيار المقبل، في حال احترمت السلطات موعدها ولم تصادر إرادة الشعب من جديد، يُحكى الكثير، في الهمس وفي العلن، عن نتائجها المتوقّعة، وتداعيات ذلك على المشهد العام، بل تُنسَج «السيناريوهات» المتنوّعة لمرحلة ما بعد الانتخابات التي يذهب كثيرون لحدّ القول إنّها لن تشبه ما قبلها.

ولعلّ أبرز ما يُحكى ينطلق من كون قانون الانتخاب العتيد سيوفّر لحزب الله وحلفائه حصد أكثريّةٍ نيابيّةٍ مُطلقة في البرلمان المقبل، ستخوّله الهيمنة على البلاد والتحكّم بقرارها، وهو ما يبدو أنّ خصوم الحزب يتهيّبونه، لدرجة أنّ هناك من بدأ يروّج أنّ جهاتٍ خارجيّة لطالما كانت داعمة لإجراء الانتخابات باتت تطلب علنًا من «أصدقائها» في لبنان فعل «أيّ شيء» لمنع حدوث هذا «السيناريو»، ولو كان «أيّ شيء» يعني الإطاحة بالانتخابات.

إزاء ذلك، تُطرَح الكثير من علامات الاستفهام، فهل

مثل هذه المخاوف مشروعة ومبرّرة؟ وهل يحضّر «حزب الله» لـ«انقلاب» بعد الانتخابات؟ وإذا كان ذلك صحيحًا، هل يستطيع أصلاً تنفيذه، في ظلّ الخصوصيّة اللبنانيّة المعروفة؟

توحي المعطيات المتوافرة أنّ الانتخابات المقبلة قد توفّر الفرصة لحزب الله، مع حلفائه، الحصول على الأكثرية النيابيّة في البرلمان المقبل، وما قد يبرّر في مكانٍ ما توجّس شرائح سياسية واسعة من تداعيات ذلك على المشهد العام، بل على الهيكليّة السياسيّة الحاليّة بشكلٍ كامل. ولكن، هل يحضّر "حزب الله» فعلاً لـ«انقلابٍ» بعد الانتخابات؟ وهل يمتلك أصلاً المقوّمات التي تسمح له بذلك؟.

في المبدأ، يمكن القول إنّ حصول انقلابٍ بعد الانتخابات يبقى، حتى إشعارٍ آخر على الأقلّ، أمرًا أكثر من مستبعَد، ليس فقط انطلاقاً ممّا يردّده مسؤولو "حزب الله»، وآخرهم أمينه العام السيد حسن نصرالله، عن رفضهم عزل أيّ فريقٍ، وأنّهم لو أرادوا «الانقلاب» لفعلوا ذلك منذ زمن، سواء بعد تحرير الأراضي المحتلّة، أو بعد أحداث السابع من أيار مثلاً، وليس فقط أيضًا لأنّ الخائفين من مثل هذا الانقلاب هم أصلاً ممّن يتّهمون الحزب بممارسته من دون أيّ غطاءٍ نيابيّ وبرلمانيّ.

إلا أنّ مردّ استبعاد مثل هذا «الانقلاب» ينطلق بالدرجة الأولى من كون حزب الله وحلفاءه لا يمكن أن يشكّلوا كتلةً واحدةً، متجانسة ومتماسكة، في أيّ ظرفٍ من الظروف،

بالنظر لتبايناتهم التي يُعتقد أنّها ستتعزّز بعد الانتخابات وليس العكس، خصوصًا في ظلّ المعركة على انتخابات الرئاسة، والتي يبدو أنّ الانتخابات النيابية فتحتها قبل أوانها. فإذا كان صحيحًا أنّ حزب الله سيستفيد من الأكثرية التي سيحصدها مع حلفائه على المستوى الاستراتيجيّ، إلا أنّ الأكيد أنّه لن يكون قادرًا على «صرفها» في الداخل، فالعلاقة بين التيار الوطني الحر وحركة أمل مثلاً لا تبدو قابلة للمعالجة، في ضوء الكيمياء المفقودة بين رئيس المجلس النيابي نبيه بري ورئيس التيار الوطني الحر الوزير جبران باسيل، تمامًا كما تلك المفقودة بين رئيس الجمهورية العماد ميشال عون ورئيس مجلس النواب نبيه بري، حتى أنّ كثيرين من أنصار الحركة باتوا يطالبون الحزب بإسقاط التفاهم مع التيار، ولا يخفون تفضيلهم القوات عليه.

وفي حين كان كثيرون يعوّلون على تطوّر إيجابيّ على خطّ العلاقة بين الوطني الحر و"تيار المردة"، بدا أنّ الخلاف بين التيار وأمل انعكس عليها سلبًا، وهو ما تجلى في الاطلالة التلفزيونية الأخيرة لرئيس تيار المردة سليمان فرنجية عشية الانتخابات، والتي صوّب فيها بقوة نحو باسيل، معلنًا عن افتراقٍ انتخابيّ وسياسيّ كبير، لا يبدو أنّ وساطات الحزب أو غيره ستنجح في التقليل من وقعه، خصوصًا مع حديث باسيل عن «معركة أحجام» ستفرزها الانتخابات النيابية المقبلة، وذلك كتمهيدٍ على ما يبدو للمعركة الرئاسية، التي يُقال إنّ باسيل وفرنجية سيخوضان فيها منافسة شرسة لخلافة الرئيس الحاليّ

العماد ميشال عون، الذي سبق أن قال أصلاً إنّه يريد أن يضمن «خلافة قوية» لعهده، بعيدًا عن الأساليب التي كانت معتمدة سابقاً [٣].

- **المبحث الرابع: حزب الله ونهاية التاريخ**

وكرد على رأي عريض يردد دوماً ان حزب الله يريد إقامة نظام ولاية الفقيه في لبنان على غرار ما هو قائم في إيران، وبأن كل استحقاق او سلوك يقوم به حزب الله إنما يجب ان يصب في هذا الاطار، هناك من يعتقد ان حزب الله وصل إلى «نهاية التاريخ»، وبالتالي فلا الانتخابات ولا ما ستفرزه هذه الانتخابات من معادلات ونتائج وخواتيم، يجب النظر إليه بهذه العين. فالواقع السياسي اللبناني بمعادلاته القائمة ومع بعض الترتيبات التي تقتضيها الظروف الطارئة هي أقصى ما يريده حزب الله في لبنان، ربما لأنه لا يحتاج إلى أكثر من ذلك.

لذلك عندما يتم طرح السؤال حول ماذا يريد حزب الله من الانتخابات وماذا يريد ان يحقق، تكون الاجابة بالقول إن حزب الله هو أقل الحزبيات اللبنانية توجّساً من الانتخابات، لا بل ان الحزب يقارع نسبة المشاركة في استحقاق ٢٠١٨ أكثر مما يقارع أخصاماً انتخابيين جديين في المناطق ذات الكثافة الشيعية. ندّه الأساسي في طائفته، حركة أمل، وهو حليفه على اللوائح المقفلة المشتركة، وقد بكّر الثنائي في إعلان أسماء المرشحين.

ذلك ان حزب الله يعتبر نفسه الرابح الأكبر بمجرّد إقرار قانون الانتخاب الحالي، وطي صفحة القوانين الانتخابية القائمة على النظام الأكثري المتعدد الأسماء.

وهو لم يستبعد مع ذلك أن يعود عليه القانون بعدد نواب أقل قليلا مما كان له في البرلمان السابق. كما أنه ينفي من جهة ثانية أنه يخوض الاستحقاق من خلفية ابتغاء تحقيق أكثرية مطلقة من عدد المقاعد له ولحلفائه من شتى الطوائف. فهو سبق له أن سعى جاهداً من أجل ذلك في الانتخابات الماضية، قبل تسع سنوات، تحت شعار «إعادة تشكيل السلطة» في لبنان، ويومها لعب الخوف من حصول الحلف الذي يقوده على أكثرية برلمانية دوراً مهما في حث الجمهور المناوىء له على الاقتراع، آنذاك، لجمهور ١٤ آذار.

ينفي الحزب عن نفسه اليوم إنه يرصد لحصد أكثرية المقاعد لصالح ائتلاف جبهوي يقوده.

ليس هذا النفي مجرّد تلبيس لهدف يسعى إليه. إنه أيضا إقرار بجملة وقائع، منها إن حكومة ما بعد الانتخابات لن تتشكل على أساس ائتلاف حصد أكثرية المقاعد في مقابل ائتلاف حصد أقليتها، بل ستكون أشبه بالحكومة الحالية. ومنها أن حليفيه الأساسيين، تيار الرئيس ميشال عون وحركة أمل برئاسة الرئيس الدائم لمجلس النواب نبيه بري، ما عاد من الممكن إدراجهما في ائتلاف عريض مشترك كما كانت الحال قبل تسع سنوات. ومنها أن جبهة قوى ١٤ اذار أصبحت في خبر كان، وفلولها يخوضون الاستحقاق

ضد بعضهم البعض، ويتهمون بعضهم البعض بالتواطؤ مع الحزب، ويخلقون واقعا مشتركاً من التواطؤ الموضوعي المتفاوت مع تغلبية الحزب السلكي – الجماهيري المسلح الموالي لإيران. والحزب لا يفعل شيئا هنا، ولا مصلحة لديه في فعل شيء قبل الانتخابات، سوى ترك التناقضات بين أخصامه وضمن أخصامه تتداعى من تلقائها، سواء حين يقررون غسل بعضهم بعض، أو حتى إذا قرروا بشكل جزئي، الالتمام على بعضهم البعض. مصلحته في أن يضعف أخصامه أكثر، وهذه بداهة. لكن مصلحته أن لا يضعف أكثرهم فوق اللازم.

وبذلك يمكن القول إن حزب الله وصل إلى نهاية التاريخ، ضالته، على الصعيد اللبناني. اذ لم يعد هناك بالنسبة له مرحلة تالية، مختلفة في الجوهر، عن المرحلة الحالية. في بداياته، كانت «نهاية التاريخ» يمكن أن ترادف، لبنانيا، بالنسبة إلى الحزب، قيام «الجمهورية الإسلامية» في لبنان. لم تعد هذه الغائية برنامجية في مقال الحزب، واستبدلت بأن يكون للحزب «تحكم فوق القانون» بالمفاصل السيادية، ومسائل الحرب والسلم.. من دون إحلال نظام بديل عن نظام المحاصصة بين الحزبيات الطوائفية، وإنما استطابة ميثاقية هذا النظام، حين يوافقه ذلك، واشتراطها ميثاقية توافقية مطلقة حين تناسبه، والضرب بها عرض الحائط حين تعرقل مساعيه أو تعقّدها. ميكانيزمات التحايل الدائم على الصيغة اللبنانية التي هي، من هذه الناحية، بمثابة الحيلة الدائمة، هي ما يبطل أيضا الحاجة، ومعها الدافع، إلى بلورة

نظام خلاصي، مهدوي، للبنان، يكون على صورة عقيدة الحزب، ونموذجه المتخيل أنه محقق، في أيران.

وبناء على ذلك، كيف يمكن صوغ المعادلات السياسية الداخلية لو أقمنا في رأس حزب الله؟

تمرّس الحزب في السنوات الماضية في هذا التعاطي المزدوج مع الصيغ التوافقية اللبنانية، مسخّراً ما بها من اعتباطية مزمنة لصالحه. لكن هذه الصيغ أظهرت أيضاً حدود ما يمكنه فعله في البلد، حتى عندما لا يكون مواجهاً من تحالف عريض مناوىء له، كالذي كان. مثلا، صار من السهل عليه تكريس إنه الطرف الأساسي المقرر في انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان، لكن ليس من المطروح التعديل في عرف مارونية هذه الرئاسة (ناهيك عن التذكير بطرح الشيخ عبد الأمير قبلان قبل سنوات والذي يتعلق باستحداث منصب نائب رئيس للشيعة)، ولن يكون سهلا عليه أيضا ترجيح الكفة بين حليفين له، كجبران باسيل وسليمان فرنجية، بالنسبة للسنوات التالية.

لكن ليس من المطروح تجاوز الرئيس نبيه بري طالما هو رئيس المجلس، ولن يكون سهلاً تسوية هذه المسألة بعد ذلك.

لم يعد من المطروح إعادة فرض سنّي لرئاسة الحكومة بعد تجربة حكومة نجيب ميقاتي، والحزب اكتشف أن مصلحته بالعكس، تتقوم في إبقاء هذا المنصب عند الأقوى ضمن الطائفة السنية، في مقابل إبقاء عقدة تشكيل الحكومة عند الحزب، بشكل أو بآخر.

يخطىء أخصام الحزب حين يتوهمون أن الحزب لا يقنع بكل هذا ويريد السيطرة الكاملة، بل الهيمنة الشاملة، على نظام يتيح له التحكم شبه الكامل باللعبة، ويتيح له تيسير أو تعطيل قوانين اللعبة، من دون فرض قوانين فعلاً جديدة على اللعبة. لكنها بالفعل، نهاية التاريخ لدى الحزب، على الصعيد اللبناني: ليس من مرحلة أفضل له من هذه المرحلة، وهذه المرحلة بالنسبة له مرشحة للامتداد إلى اطول مدى ممكن، ويمكن التعويل فيها على تطبع الناس أكثر مع الأوضاع القائمة، لكن لا يمكن التفكير بتبديل جوفي، أساسي، لقوانين اللعبة، على طريقة إقامة نظام «حزب اللهي» طهوري في لبنان، مثلا.

المشكلة تبدأ من أن ايديولوجيا الحزب غير متطبعة كفاية مع الإقرار بأنها بالفعل أنجزت نهاية التاريخ، من منظارها لبنانيا، وأنه من الآن فصاعدا، السيطرة القصوى، التحكمية بالمفاصل وقواعد اللعبة، مستتبة بلا قلق، ولا داعي لطلب ما هو أكثر جوهرياً من ذلك، وإنْ جاز التوسع الطبيعي في المكتسبات، أي معالجة ضعف الحلفاء والأخصام، والاحتراز من أي ضعف فوق اللازم، أو أي ضعف مباغت أو غير متوقع، لهؤلاء.

إن الدولة المثلى عملياً بالنسبة إلى الحزب، هي الدولة القائمة حالياً. أي محاولة من طرف الحزب، أو أي ضغط من طرف الجماهير الشيعية، لثنيه عن نموذج الدولة المثلى عمليا، بالنسبة له، أي القائمة حاليا، ستعود عليه بالمشاكل[٤].

• المبحث الخامس: نصر الله بين حزب الله الانتخابي وحزب الله العسكري

فيما يتعلق بحزب الله، فالذي سيحصل في انتخابات ٢٠١٨ هو ان حزب الله العسكري سينتخب لحزب الله السياسي، وتلك مسألة يجب ان تقرأ جيداً، لا بل تلك مسألة فاتت حزب الله، لكنها لم تمر على الذكي دوماً السيد نصر الله، فذلك الذي عندما أدرك هذه المعادلة استعار من عمر بن أبي ربيعة شعره الشهير «اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا... لكي يحسبوا ان الهوى حيث تنظر». فعندما شاهد وسمع نصر الله مع ملايين اللبنانيين طبيعيّة البرامج الانتخابية للاحزاب والتيارات والشخصيات اللبنانية، وجد ان حزب الله موجود خارج هذه الطبيعية، ممتشقاً كعادته سيفه البتار كالفارس الذي يصارع الهواء، اذ لا يوجد طرف لبناني يسايره بسيف آخر موازن، فبان المشهد على شاكلة السيف مقابل الخطاب.

إذن كان نصر الله أمام خيارين لا ثالث لهما: إما ان يترك السيف ويحاجج بالكلمة والخطاب وإما ان يستحضر سيفاً لخصمه، بهدف ان يظهر الحزب بمظهر الحزب السياسي الذي يخوض انتخابات في مواجهة أحزاب وأناس تشبهه.

لكن الذي حدث هو ان السيد نصر الله لجأ إلى الخيارين معاً، فكانت السقطة السياسية جاحظة، والتي تشبه بالتمام جحوظ خطاب كمال الخير في المنية وجهاد الصمد في الضنية.

أما بالنسبة إلى المحاججة بالخطاب السياسي والذي نقصد به الخطاب السياسي الانتخابي لحزب الله، فتمثلت بيافطة مكافحة الفساد الذي رفعها الامين العام لحزب الله ووضعها جنباً إلى جنب مع يافطة المقاومة، فلا فساد بعد اليوم ولن يسكت حزب الله عن الفاسدين والمفسدين بعد اليوم، ولأجل ذلك سيقوم الحزب منذ اليوم بتشكيل هيئة وكوادر وغرفة عمليات خاصة لمتابعة الفساد والمفسدين في الدولة، وقد أعلن عن ذلك السيد نصر الله شخصياً.

وبذلك أصبح هناك قضيتان لحزب الله قضية قديمة جديدة وهي مقاومة العدو الاسرائيلي وقضية جدية وهي مقاومة الفساد.

لكن وعلى غير عادة، لم تأخذ قضية مقاومة الفساد اي حيز عند أحد بإستثناء عند السيد نصر الله، الذي لو كنت مكانه لما رفعتها قضية لألف سبب وسبب.

وان أهم هذه الاسباب وأكثرها جحوظا يتمثل بنتيجة كلام السيد الامين العام الذي قصد بالمفسدين حصراً السنة والمسيحيين والدروز، لأنه لو قصد غيرهم لإنهارت كل مكامن قوته الانتخابية، وهو ما يعني ان فخاً سياسياً جديداً وضع نصر الله نفسه فيه مرة أخرى. وذلك لأن نصر الله يدرك جيداً ان المحاصصة الطائفية مطبقة حتى في الفساد، وان الفساد في لبنان جزءاً لا يتجزأ من الميثاقية ومن الديمقراطية التوافقية بدليل صراحة الرئيس بري الذي يحترم عليها أشد الاحترام.

غير أنني أعتقد ان السيد نصر الله قد ذهب أبعد

من ذلك في غمزه من قناة الفساد، فهو ذهب بالفساد إلى بعلبك الهرمل، تلك القلعة المحصنة، ذلك الخزان الذي خاف زعيم المقاومة ان يجف نتيجة سطوع شمس المهربين لمياهه، ففي هذه القلعة بدأت الناس تتكلم بالسر والعلن عن اناس نصبهم حزب الله إما نواباً عليها او نظاراً عليها، كرههم شعبها، فلقد أخذت المقاومة هؤلاء عن واجباتهم تجاه منطقتهم، هذا ان تكلمنا بحسن نية، فقلعة بعلبك الهرمل «حيطها عالي عسكرياً لكنو واطي إنمائيا»، هذا ما يردده سكان هذه القلعة، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، فعلم الاجتماع السياسي بات أكثر العلوم الذي يتقنه حتى أميي منطقة بعلبك الهرمل، فصراعهم الباطني مع منطقة الجنوب تختصره عبارة سحرية بعلبكية تقول» عنا الخزان وهونيك الحنفية»، بمعنى بعلبك يحتاجها الحزب كخزان انتخابي لكن الجنوب هو حنفية المال التي لا تنقطع ذهاباً واياباً.

إذن يقول أبناء الجنوب عكس ما يقوله أبناء بعلبك الهرمل، فأبناء الجنوب المحسوبين ببياضهم الاعظم على الرئيس نبيه بري، يختلفون عن أبناء بعلبك الهرمل المحسوبين شرعا على الغوطة الشرقية لدمشق.

واذا كان الرئيس بري قد «زفت» كل الجنوب، فحسين الحاج حسن «لم يزفت» الا أمام بيته.

وأما بالنسبة لخيار السيف، فهو الخيار الذي لا يمكن لحزب الله وأمينه العام ان ينحياه جانبا على الاطلاق، فالصراع الانتخابي وضعه نصر الله في إطار معادلتين:

المقاومة والتكفير.

أما المقاومة فهي دوما على جدول أعماله، لذلك يمكن القول ان حزب الله بهذا المعنى في حالة انتخابية مستمرة، وان الشيعة سيبايعون حزب الله لأنه يمثل خط المقاومة ضد اسرائيل، وهذا خطاب بقدر ما فيه من ترغيب بقدر ما فيه من ترهيب. وان الترهيب يكمن هذه المرة في المعادلة الانتخابية الجديدة التي وضعها السيد نصر الله، أيضا في بعلبك – الهرمل، وذلك حينما حذر البعلبكيين والهرمليين من انتخاب من وقف إلى جانب الارهابيين والتكفيريين، أنصار النصرة وداعش.

وبالطبع لم يضع نصر الله هذه المعادلة للسنة والمسيحيين في منطقة بعلبك الهرمل وإنما وضعها للغالبية الشيعية في هذه المنطقة. وهذا وضع هستيري، يعني أول ما يعني وجود توجس كبير في دواخل الامين العام يشي بأن شريحة او مجموعة لا يستهان بها من شيعة بعلبك الهرمل لا تحبذ الصحن اليومي لتحالف الحزب–أمل هناك. فحينما كان نظام الانتخاب أكثرياً لم يكن لتلك الشريحة قوة غالبة، لكنها أضحت مع النظام النسبي قوة ذات ثقل ووزن، وذلك بغض النظر عن نتيجة الانتخابات في هذه الدائرة الاستراتيجية. وان سائلاً يسأل: ترى كيف ستكون نتيجة الانتخابات هنا لو افترضنا تحالفا ثلاثياً بين أمل والمستقبل والقوات؟

الفصل الثاني

معركة بعلبك – الهرمل وأسرارها

ترك أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله كل همومه وتحدياته واستحقاقاته ليستوطن في بعلبك – الهرمل وليردد أكثر من ثلاث مرات انه مستعد ان يذهب شخصياً إلى بيوت بعلبك – الهرمل وشوراعها وأهلها وأزقتها وزنقاتها ان اقتضى الامر، لدفعهم إلى التوجه إلى صناديق الاقتراع، رغبة منه في رفع سقف الحاصل الانتخابي هناك حتى تكون نسبة خرق الخصوم في هذه الدائرة في حدودها الدنيا.

هذا الاندفاع الكبير للسيد نصر الله، دفع المراقبين إلى وصف معركة بعلبك – الهرمل بأم المعارك؛ إنها الدائرة التي يتواجد فيها أكثرية شيعية تصل الى السبعين بالمائة من تعداد سكانها والمسجلين في نفوسها، ويتوزع الثلاثون بالمائة بين المسلمين السُنّة والمسيحيين، حيث الغالبية السنيّة مناصرة لتيار المستقبل والغالبية المسيحية مناصرة لقوات الدكتور سمير جعجع.

وبعيداً عن لغة الارقام والنسب والإحصاءات، فإن تبنّي السيد نصر الله لهذه الدائرة شخصيا واستماتته في التركيز عليها ترك عند الكثيرين من أبنائها كما عند العديد من اللبنانيين بل والاقليميين ان لم نقل الدوليين أيضاً مجموعة

من الاسئلة التي تصب في اتجاه واحد وهو:

لماذا كل هذه الاندفاعة من حزب الله في هذه الدائرة؟

لماذا هذه المقاتلة الانتخابية التي يمارسها حزب الله في بعلبك الهرمل؟

وأين المشكلة لو خسر حزب الله نائب او اثنين او حتى ثلاثة مقاعد في بعلبك الهرمل طالما انه سيعوّض في دائرة او دوائر اخرى؟

لا بل أين العيب والحرج في ان يخسر حزب الله مقاعد في هذه الدائرة طالما انه ارتضى القانون النسبي وطالما ان الثمانين ألف صوت سني ومسيحي في بعلبك – الهرمل هم بغالبيتهم مناهضين لفكر وفكرة ومفكرة حزب الله؟

هذه الاسئلة وغيرها من المتناسلة منها، أظهرت الامر وكأنما هناك شيء غير طبيعي يحصل في بقاع لبنان الشمالي، فهناك سر كبير ما يقف وراء استماتة السيد نصر الله بعلبكياً وهرملياً، فما هو هذا السر؟ وأين يكمن؟ ومن يملك الجواب الشافي غير حزب الله وأمينه الأبعد من عام، لم يكن ليفكر في بعلبك الهرمل باعتبار أنها الملجأ والخزان والبيئة والمرتكز و...؟

البحث في أسرار هذا الموضوع تحليلاً وقراءة، لا بد من القول ان حزب الله يعتبر من أوائل وأهم بل وصانعي النظام النسبي للانتخابات النيابية، وهو ما يعني انه ومنذ بدء الحوار الوطني ومعه المفاوضات بين القوى والاحزاب السياسية الاساسية، كان يجدر به اي بحزب الله، ان ياخذ

بعين النظر والاعتبار تحديات ومخاطر دائرة بعلبك – الهرمل، وبالتالي التوقع بخسارة مقعد هنا ومقعد هناك ليربحه او يربحهما الفريق الخصم او المناوئ، المستقبل او القوات او كليهما، لانه كان عليه معرفة ان المستقبل والقوات هما الاقوى سنيا ومسيحياً في عقر داره.

وكان على حزب الله أيضا ان يتوقع تحالفاً انتخابياً بين القوات والمستقبل ومن يعترض على حزب الله شيعيا في بلعلبك والهرمل.

انطلاقا من هذه المعطيات، نخلص إلى مجموعة من النتائج المتصلة بحزب الله في هذه المنطقة:

نستنتج أولاً ان حزب الله، وفي كل الانتخابات النيابية السابقة، كان يرتكب خطأ استراتيجياً هو ما أوصله إلى حالة الاختناق الانتخابي التي يعاني منها اليوم في هذه الانتخابات، ويتمثل هذا الخطأ في ما يمكن ان نسميه بديكتاتورية التمثيل التي مارسها الحزب في بعلبك– الهرمل، فحزب الله الذي لطالما انشغل بمقارعة العدو الاسرائيلي ومناهضته ومن ثم مقاومته، وحزب الله الذي لطالما كان زاهداً في السلطة التنفيذية فوكل حركة أمل فيها، وحزب الله الذي لطالما ادعى تقديم تنازلات في الداخل من أجل المصلحة العامة ولتكون الظروف الداخلية مهيئة لمواجهة العدو، فاتته المسألة، وعاكسته الحكمة، فإدعى في كل انتخابات ما بعد الطائف انه الممثل الشرعي لمنطقة بعلبك – الهرمل، وادعى ان فرضها وسنتها ومسيحييها تدين له بالولاء، لكن استحقاق ٢٠١٨، قاد حزب الله سراً

وعلناً إلى التصريح بحجم المشكلة التي سيلقاها في معقله.

ولم يكن حزب الله ليكتفي بما ادعاه، بل استخدم هذه المنطقة لفرك إذن مناوئيه، وخصوصاً القوات اللبنانية، وذلك عندما استدعى خصم جعجع اميل رحمة لينصبه نائبا على دير الاحمر رغم أنف أبنائها الذين يرفعون بغالبيتهم راية سمير جعجع. ودار الزمان ليرد جعجع ثأره ويثير في أبناء دير الاحمر وتوابعها كرامتهم السياسية التي لم يناموا على ضيمها، علماً بأن نسبة الاقتراع المسيحي في بعلبك – الهرمل لم تتجاوز في زمن الاكثري وزمن تغطية ارسال حزب الله الـ١٢ بالمئة، ومما لا شك فيه ستكون مشاركة المسيحيين في انتخابات ٢٠١٨ أضعاف هذه النسبة من التصويت.

ونستنتج ثانياً ان استماتة السيد نصر الله في الدفاع عن قلعة بعلبك – الهرمل، لهو في جانب صريح منه اعتراف نافر ومؤذ للمقاومة مؤداه ان الغالبية المسيحية والسنية في القلعة هي غالبية مناهضة لحزب الله وسياساته. فلو كانت الامور على غير ذلك، لما أحدث السيد نصر الله كل هذا الضجيج الانتخابي، وهو الضجيج الذي لم يشاركه به قائد حركة أمل الرئيس نبيه بري، الذي شكل صمته الانتخابي في بعلبك – الهرمل ضجة من نوع آخر، فهل هو صمت الواثق بنجاح مرشحه الأوحد غازي زعيتر أم صمت استراتيجي له من قبله وله ما بعده؟ فالرئيس بري لم يتعاطى مع بعلبك – الهرمل انتخابيا بأزود ما تعاطى مع أي دائرة أخرى يخوض فيها منافسة انتخابية.

أما ثالثاً، فنستنتج ان تعاطي السيد نصر الله مع دائرة بعلبك – الهرمل، أظهر هذه المنطقة كمنطقة لغز، وكأنها كانت مقفلة لا أحد يعرف عنها شيئا في السياسة، فجاء استحقاق الانتخابات ليضعها على طاولة الجدل والأخذ والرد، ان لم نقل على طاولة التشريح. فلطالما تعاطى حزب الله مع بعلبك – الهرمل كأب يخبئ ابنته الوحيدة وكل أبناء العشيرة يتبادلون الحديث عن حبه لها وخوفه عليها كما عن حبها له واعتباره مثالها الاعلى في نظرها، ثم وبسحر ساحر، ينتشر خبر بين أبناء العشيرة كانتشار النار في الهشيم، يشي بأن هذه الابنة قد تسامرت حديث حب مع شاب من ذات العشيرة عبر نافذة غرفة نومها، فيأتي أبوها ليقتل الشاب العاشق بدل ان يضادق ابنته ويسألها عن حقيقة مشاعرها اتجاه هذا الشاب؛ انه الأب الذي يرفض لإبنته حتى الحلال ان كان الحب حراماً.

بعد هذه الاستنتاجات الثلاث، يعود السؤال ليلح ويقول: لماذا يستميت حزب الله في معركة بعلبك – الهرمل؟ ولماذا تشكل دائرتها هاجساً انتخابياً لدى حزب الله؟ وما الذي يخاف منه السيد نصر الله ويتوقع ان يحدث؟

بعد قراءة معمقة أجريتها بحثاً عن إجابات شافية حول هذه القضية، وجدت ان التحاليل والآراء توزعت بين ثلاث تيارات واتجاهات لا رابع لها.

أما الاتجاه الاول فيرى ان حزب الله لا يمانع ان خسر نصف المقاعد السنية والمسيحية في دائرة بعلبك– الهرمل، اي اثنين من اربعة، فمشكلته تكمن في قدرة اللائحة

المنافسة على الخرق ولو بمقعد شيعي واحد. لكن أين المشكلة ان تم الخرق بمقعد من المقاعد الشيعية الست في بعلبك – الهرمل؟

في الإجابة عن هذا السؤال، يضع أصحاب هذا الاتجاه المسألة في إطار لعبة اقليمية دولية لها مخاطرها التي لا يريدها حزب الله على الاطلاق، فالمطلوب خارجياً هو الحصول على مقعد شيعي في دائرة بعلبك – الهرمل، تتمكن المنظمات الدولية والدول المانحة والجمعيات وكل من له مصلحة من الدخول عبره إلى البيئة الشيعية الحاضنة لحزب الله، ومن خلال هذا الدخول تتراكم المساعدات والعطايا بقصد توسع رقعة المعارضين لحزب الله والمقاومة، فهناك كلام يقال بأن بعض القوى الخارجية رصدت ميزانيات لمشاريع في بعلبك – الهرمل.

وتقول بعض المصادر ان تيار المستقبل هو القادر الوحيد في هذه المنطقة على تنفيذ الخطة، باعتباره يملك خزاناً بشرياً في منطقة عرسال وأخواتها، يؤمن حاصلاً انتخابياً، الذي يمكن ضمه لأصوات مناصرة لشخصيات شيعية كبرى لها وزنها في المنطقة وأخرى لها مشكل او اكثر مع حزب الله.

وفي هذا السياق يدرك حزب الله جيداً ان مشاريع إضعاف الحزب والمقاومة ستنطلق من بعلبك – الهرمل، بسبب الوضع الاجتماعي لسكان هذه المنطقة المهملة من قبل الدولة، لذلك قرر تكثيف جهوده في الدائرة والسعي لرفع منسوب التصويت الشيعي تحديداً وإيصال عدد المقترعين

إلى ١٩٠ الفا، ما يعني ان الحاصل الانتخابي سيصبح ١٩ الفا بدل ان يكون بين الـ ١٥ و الـ ١٦ الفا، الامر الذي يزيد من صعوبة الوصول إليه من جهة، وزيادة الاصوات التفضيلية للمرشحين الشيعة من جهة ثانية، لمنع خرقهم، علما انه وفي نفس السياق يفضل الحزب خسارة أحد المقاعد السنية، لا المسيحية، لأن المنافس المسيحي سيكون من كتيبة النخبة في القوات اللبنانية[١].

وفي التفاصيل الانتخابية التي تعكس زمجرة الانتخابات في بعلبك – الهرمل، يتوقف أكثر من مراقب عند الزيارة اللافتة وغير المسبوقة التي قام بها الثنائي المشكل من القائم بأعمال السفارة السعودية في لبنان الوزير المفوض وليد البخاري والسفير الاماراتي حمد الشامسي للمنطقة، وقد جالا على جامع الملك سعود بن فيصل المعروف بجامع المقاصد في حي آل الصلح في مدينة بعلبك، ولفت في الجولة ألتي اعقبتها صلاة في المسجد الاموي الكبير وجود المرشح السني على لائحة الكرامة والانماء اي لائحة المستقبل والقوات ويحيى شمص حسين الصلح وفي حضور مفتي بعلبك الشيخ خالد صلح الذي أمّ الصلاة، وكان للزيارة أكثر من وقع وصدى على جمهور المقاومة، وقد ذهبت التفسيرات إلى أبعد من الزيارة والتوقف عند دلالاتها ومضامينها وموعدها وربطها بالانتخابات، خصوصا انها لم تحصل بمثل هذا الوفد إلى المنطقة منذ زمن بعيد.

أما الاتجاه الثاني، فيذهب إلى وضع استماتة حزب الله في الدفاع عن حصريته التمثيلية لدائرة بعلبك – الهرمل،

في إطار خشية الحزب من تململ أصاب قاعدته الشعبية العريضة في هذه المنطقة، فقد أجرى حزب الله قبيل الانتخابات وفي سياق التحضير للاستحقاق استطلاعات رأي عديدة، بقيت بعيدة عن أعين الاعلام والنشر، لمعرفة حقيقة مزاج البيئة الحاضنة، فدلت على ان الرأي العام في غالبيته الساحقة يعطي الاولوية للقمة العيش والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لا لغير ذلك[٢].

وما يعزز ذلك، تنامي وتطور حجة لدى ابناء بعلبك– الهرمل يخشاها حزب الله، ذلك ان شريحة من مناصري الحزب قد تأثرت نسبيا بحملات التحريض المنظمة ضد الحزب، ففي الشارع هناك يوجد من يعتبر او يفترض ان الحزب الذي أثبت قوته في محاربة اسرائيل والتكفيريين حتى بات لاعباً اقليمياً وازناً، يستطيع لو أراد ان يفعل، لفعل الكثير لمحاربة الفساد على مستوى الداخل اللبناني، فانعكست هذه المحاربة تنمية وتطويرا في قلعته غير الصامدة، لكنه اي الحزب، يفتقر إلى مثل هذه الارادة، في حين ان الحقيقة هي ان التصدي لخطر الارهاب والاحتلال يبقى أسهل من معالجة مكامن الاعوجاج في سلوك الدولة المحكومة بتوازنات دقيقة ومرهفة[٣].

وفي هذا السياق، يحرض رئيس المركز العربي للحوار والمرشح السابق لصالح لائحة التحالف ضد حزب الله عن المقعد الشيعي في بعلبك الشيخ عباس الجوهري، فيقول: «ان الناس شعرت في منطقتنا انها متروكة بشأنها اقتصادياً واجتماعياً منذ سنوات، ويبدو ان نصر الله اكتشف ان المسؤولين في حزب الله لا ينقلون له امتعاض

الناس من السياسة المتبعة، ولكنه اكتشف مؤخراً ان الناس تحتاج لمن يسمع شكواها وألمها وهم انفسهم الناس الذين وثقوا به وقدموا له دماء أبنائهم، لكن في المقابل لم يتلقوا اي دعم انمائي او اقتصادي لمدينتهم، بل هناك استمرار لتراجع الاوضاع المعيشية والاقتصادية... حجم المأساة التي خلفتها الحرب السورية، تركت اثارها على العلاقة بين حزب الله وأبناء بعلبك – الهرمل، خصوصا انهم قدموا الدماء دون مقابل انمائي، ولم تعد حجة لوم السلطة تنفع لدى ابناء هذه المنطقة فحزب الله متمثل في السلطة منذ ٢٥ سنة اي انه هو السلطة بالنسبة لهم، وفي مقابل تراجع الوضع الاقتصادي والانمائي هناك ايضاً إخفاق نواب ووزراء حزب الله في دورهم، إضافة إلى فسادهم الذي كان السبب الرئيسي لإمتعاض جمهور حزب الله أبرزها فتح كسارات لوزير الصناعة حسين الحاج حسن، وفرض نفسه شريكاً في اي معمل يتم افتتاحه، هذه الممارسات وصلت إلى الناس الذين رفضوا ان تتم مخاطبتهم بخطابات عاطفية وتعبوية رنانة تتحدث عن القضايا الكبرى، وفي المقابل يمتلئ مسؤولو حزب الله بالفساد، حتى أصبح هناك طبقة من المسؤولين في حزب الله تمتلك ثروات هائلة، وبالمقابل هناك طبقات في المجتمع الشيعي تعيش تحت خط الفقر أفرزتها الـ٢٥ عاما من تمثيل حزب الله لهم في السلطة، لذلك لم تعد الخطابات تنفع مع الناس، والتوجه الى اتهام اي مرشح ضده بأنه يمثل داعش والنصرة، انقلب على حزب الله، فهم يواجهون النقمة الشعبية بخطابات سيئة وبالتالي سوف ينكشف مع الايام زيف خطاباتهم ...»[٤].

وأما الاتجاه الثالث، فيضع توجس الامين العام لحزب الله السيد حسن الله من معركة بعلبك – الهرمل في سياق مجموعة اعتبارات وليس اعتباراً محدداً.

وتبدأ هذه الاعتبارات بانعطافة مارسها حزب الله للمرة الاولى في تاريخه الانتخابي، فالامين العام للحزب هو من أعلن البرنامج الانتخابي بنفسه بعدما كان يقوم بالمهمة رئيس كتلته النائب محمد رعد، إضافة إلى استحواذ عنوان «الإنماء ومحاربة الفساد»، بشكل أساسي على الخطاب، متعهداً بأنه سيتابعه شخصياً بعدما كان قد نقل عنه استعداده لمتابعة الحملة الانتخابية في المنطقة البقاعية في مواجهة كل التحديات التي تواجهه من الخارج عبر معارضيه ومن داخل الطائفة الشيعية؛ في ضوء رفض الأهالي أسماء المرشحين التي كانت في معظمها من خارج العائلات الكبرى، أضف إليها التململ والنقمة الناتجة من إهمال المنطقة إنمائياً على امتداد سنوات طويلة، وهي التي توصف بخزان المقاومة والشهداء بينما يسود الاعتقاد لدى أهلها أن أبناءها يقاتلون وأبناء الجنوب يقبضون.

من هنا، تكاد تتحول بعلبك – الهرمل إلى معركة الحزب الأولى، وهو الذي يتولى قيادة حملتها، في مقابل قيام حركة أمل ورئيسها رئيس مجلس النواب نبيه بري بالاهتمام بالحملة الجنوبية التي توصف بالمطمئنة بالنسبة إليهم.

ومن هذه المنطقة البقاعية التي يعوّل المعارضون أن تشهد بداية التغيير، يسجّل تحول في مسيرة الحزب الذي

لطالما كان شعاره المقاومة ومحاربة إسرائيل والتطرف، وهو ما عكسه كلام نصر الله والحملة الانتخابية التي ربطت هذه المرة المقاومة بالإنماء تحت شعار «نحمي ونبني». لكن هل هذه الوعود قابلة للتطبيق أو للتنفيذ بعد سنوات من المشاركة في السلطة التي لا يختلف اللبنانيون على فساد إداراتها؟

يقول المحلّل السياسي، مصطفى فحص: «بعد ٢٦ سنة من تغطية الفاسدين وبعدما ضاق محازبوه ذرعاً بفساد كوادره، يحاول حزب الله اليوم أن يقدم خطاباً جديداً لمكافحة الفساد الذي أصبح يفوق قدرة الأفراد والجماعات؛ وذلك في محاولة منه لإستعجال خطواته والقول إنه هو سيحارب هذه الآفة قبل أن يحاربه الناس في صناديق الاقتراع، فيما يمكن تسميته المعركة الالتفافية لإمتصاص النقمة الشعبية.

ويضع فحص مشكلة حزب الله الانتخابية اليوم في البقاع، في خانة الخدماتية والعشائرية، موضحاً، الأولى يعكسها الحرمان الذي تعيشه هذه المنطقة التي تقدم أكبر عدد من الشهداء في المقاومة مقابل تحويل الأموال إلى الجنوب، حيث أيضاً الغالبية الشيعية، والثانية هي تقديم مرشحين لا يمثلون روحية المنطقة التي تعتمد بشكل أساسي على العشائر والعائلات الكبيرة؛ إذ إنه إضافة إلى تجاهله أي مرشح من مدينة بعلبك اختار مرشحين من خارج العائلات الكبرى؛ الأمر الذي رأى فيه أهل البقاع محاولة منه لفرض نواب عليهم». ويلفت إلى مستجد آخر نتج من الحرب السورية، وانعكس سلباً أيضاً على أبناء

البقاع الواقعة على الحدود، وذلك نتيجة إقفال الطريق بين البلدين، وطرق التهريب التي كانوا يعتمدون عليها في أعمالهم وتجارتهم التي بات حزب الله ينافسهم عليها. ويضيف « وبالتالي، وفي هذه المنطقة حيث تلعب العشيرة الدور الأهم، سيطفو موقف العشائر على الموقف الحزبي وسيقول كلمته في صناديق الاقتراع ما سيؤسس للتغيير»، وسيساعد ذلك، بحسب فحص، توحّد معارضي حزب الله في لائحة واحدة في تكريس هذا الواقع كما سيستفيد الحزب من تشرذمهم وتفرقهم، وبخاصة أن بعض الأطراف التي تبدو مؤيدة للمعارضة الشيعية في العلن تخافها في السرّ خشية انتقال هذا الربيع إذا ما تحقّق، إلى صفوف مناصريها ومؤيديها.

واذا ما جمعنا وطرحنا وقسمنا هذه الاتجاهات الثلاث حول تفسير استماتة حزب الله في الدفاع عن قلعته الانتخابية في بعلبك – الهرمل لوجدنا أنها تركز على الاسباب التنموية – الاقتصادية وعلى الدخول الاقليمي إلى هذه المنطقة وهو ما يعتبر تحدياً جديداً لحزب الله في معقله الاساس والاهم والأبرز.

لكن هل هذه الاسباب كافية لتبرير الهاجس والتوجس الكبيرين لحزب الله في بعلبك – الهرمل، أم هناك عوامل وأسباب غير منظورة تصيغ نفسها في عقل السيد نصر الله ، وهي ما يفسر الإنكباب المجنون للحزب وأمينه العام في دائرته السوبر– استراتيجية؟

أعتقد ان هناك أسبابا اكثر عمقا هي من وقفت وراء

بل حتمت تفرغ حزب الله لمعركة بعلبك – الهرمل، وهي أسباب وعوامل تذهب في أكثر من اتجاه وان كانت تصب في اتجاه واحد.

ومما لا شك فيه ان هناك رأياً يعتبر ان تمثيل القوات اللبنانية بنائب في معقل حزب الله لهو أمر يرذله الحزب ولا يطيقه، سيما ان الدستور اللبناني يعتبر ان النائب لا يمثل المقترعين له فقط ولا يمثل الناس التابعين لدائرته فقط وانما يمثل الأمة جمعاء، الأمر الذي يعني ان انطوان حبشي سيقول في اللحظة التي سيفوز فيها أنه يمثل كل أهالي بعلبك – الهرمل وليس المسيحيين منهم فقط. وهذا يعني ان قدماً قوية ستكون لسمير جعجع في قلعة السيد نصر الله.

فعلاً المقاربة قاسية جداً على حزب الله وأمينه العام. فالمسألة مرتبطة برمزيتها في هذا الجانب أكثر مما هي مرتبطة بمقعد نيابي؛ إنها مرتبطة بجملة سحرية سيرددها جعجع دون ان ينطقها، وسيسمعها نصر الله دون ان يسمعها، جملة تقول «أنا شريكك في بعلبك – الهرمل».

لكن كيف سيكون المشهد لو ان الرئيس سعد الحريري أحدث خرقا ثانياً إلى جانب جعجع في قلعة نصر الله «المنيعة»، وقال له ايضا «انا شريكك في بعلبك – الهرمل»؟.

إنها مشكلة كبرى لحزب الله، الذي سيسمع صوت الجرافات الانمائية تجرف أوتاد القلعة بمال سعودي، لان المشروع قد انطلق، أي مشروع!

قد لا يشكل هذا الخرق الثنائي، على منطقيته وصحته، مشكلة كبرى او مستعصية لحزب الله وأمينه العام، لكن المشكلة تبدأ لو حدث الخرق بمقعد شيعي، فتكون المعادلة الشيعية على الشكل التالي: من أصل ستة مقاعد شيعية في دائرة بعلبك–الهرمل، فازت لائحة أمل وحزب الله بخمسة مقاعد. وهو ما يعني ان حزب الله فاز فقط بأربعة مقاعد، وهو ما يعني ان ثلث مقاعد الشيعة في بعلبك – الهرمل ليس لحزب الله، وهو ما يعني ايضا ان ثلث شيعة بعلبك الهرمل، نصف ثلثهم ليس في الاساس مناصرا لحزب الله وانما لأمل ونصف ثلثهم الاخر من كان مناصراً للحزب لكنه خرج من جلبابه. وهنا تكمن الكارثة الكبرى التي لا يطيق السيد نصر الله تصورها او تخيلها.

غير أنني أعتقد ان المسألة تتجاوز ذلك بكثير وأكثر، فهي وان كانت في جانب منها ترتبط برغبة زعيم حزب الله وواضع سياساته في عدم احتلال خصوم حزب الله اي مقعد في دائرة بعلبك – الهرمل، إلا انها في جانب الممنوعات التي لا يريدها السيد نصر الله ان تحصل، ترتبط بالابعاد السيكولوجية والاجتماعية ومن ثم السياسية والاستراتيجية لأبناء هذه المنطقة.

دعونا نسأل معاً سؤالاً جد بسيط يقول: ما هي الاسباب الحقيقية التي تدفع الشيعة لمناصرة حزب الله وترديد «لبيك يا نصر الله»، كلما رفع أمينه العام السيد حسن نصر الله صوته عاليا؟

أعترف انه سؤال محرج وقد يكون جلاباً لبعض

الاتهامات ضد سائله، لكن احداً لم يطرح هذا السؤال من قبل، ربما لأن الكل، ومنهم خصوم حزب الله في الداخل والخارج، يغمره اليقين القائل بأن الذين هم مع حزب الله، هم معه لأنه يحمل راية المقاومة وقد هزم العدو الإسرائيلي، سيما انه وقبل دخول الحزب عسكرياً الى سوريا لمناصرة نظامها، كان السيد نصر الله حبيب الجماهير العربية، فكيف لا يكون زعيم الجماهير الشيعية وهو ابن بيئتهم وجلدتهم!

ومما لا شك فيه ان مناصرة حزب الله لجهاده ضد اسرائيل هي مسألة لا يجب ان يثار بشأنها أي نقاش. لذلك نكرر ونقول ان السيد نصر الله خطف بجهاديته أفئدة الملايين عبر العالم، لكنها ليست المناصرة القادرة على حسم نقاشنا هذا. فالذي يحسم نقاشنا هو توسعة الدائرة أكثر وفتحه من كل جوانبه.

أما الجانب الأهم فيتمثل بالقول انه عندما يعترف الجميع بأن حزب الله هو دولة، فهذا قول ليس بمجازي ولا بصوري، انه حقيقة، فحزب الله دولة لأنه لا يرتبط مع «مواطنيه» ارتباطاً أمنياً وعسكرياً فقط، وانما ارتباطا اقتصادياً أيضا، فحجم المصالح التي يقدمها حزب الله إلى من ربطوا مصلحتهم معه وبه مربوطة بدورها بميزانيات ومؤسسات ضخمة لها هياكلها الشبيهة بهياكل مؤسسات الدول. ففي حزب الله مؤسسات رديفة لمؤسسات الدولة اللبنانية.

لكن الجانب الأكثر من أهم يتجسد بعامل نفسي أكثر

من مهم، وهو ان حزب نجح إلى حد بعيد في ان يدفع كل فرد شيعي لأن يشعر بالغلبة جراء سلاح الحزب وهيمنته على البعد الاستراتيجي للدولة اللبنانية[٥] فالاحساس بالغلبة يجعل الفرد يشعر بالعنفوان والقوة والتفرد والتميز لا بل والسلطة التي وصلت مع حزب الله إلى ذروتها فاكتملت كل درجاتها. هذه الغلبة كفيلة بأن تجعل المتمتع بها أسيراً لها، ومستعداً ان يقدم لأجل الحفاظ عليها كل غال ونفيس، فكان عنوان المقاومة مرادفاً لعنوان الغلبة، وهذا لا يقلل من قيمة المقاومة عند الشيعة على أية حال، لكن الأولوية عندهم للغلبة فقط لا غير، لدرجة لو ان السيد نصر الله خرج غداً وسطّر خطاباً يتوجه فيه إلى مواطنية ليقول لهم سننجز مع اسرائيل سلاماً مشرفاً، سيرددون خلفه: «لبيك يا نصر الله»، وهنا تشبه التلبية كلمة آمين بعد انتهاء الشيخ من كلمة ولا الضالين في صلاة الجمعة.

ماذا يعني كل ما تقدم؟

يعني ان منطق المصلحة الذي كان له دوره الفعال في انجاز الرابط بين حزب الله وبيئته الحاضنة والمؤيدة قد يكون هو نفسه ذي الدور الفعال في ربط شريحة لا بأس بها من تلك البيئة مع طرف ثالث او رابع يحقق تلك المصلحة، وهذا يتوقف على تعديل في المعادلة بين بري ونصر الله وبين امل وحزب الله. ويعني أيضا ان القوة التي أنتجت الغلبة قد تتضاءل او تصاب بداء ما فتهتز الصورة وتصبح الخيمة منكشفة للشمس.

هذه الاعتبارات لم تفارق يوما عمق تفكير الزعيم

الوجداني للشيعة نبيه بري، فهي مرتبطة بعبقرية هذا الرجل، الذي استطاع إلى اليوم ان يصمد أمام ايران وحزب الله رغم خصومة الظروف والتحولات له، لا بل هو الذي اقتدر ان يكرس عبارة سحرية اسمها «ثنائية التمثيل الشيعي»، في وقت لم يكن المضمون متوافقاً تماماً مع هذه العبارة.

واننا اذ نقول هذا الكلام فلأن حزب الله عندما وصل إلى شكله وحجمه الاسطوريين، وعندما اقتدر ان يخطف العقول والقلوب، وبكل المعايير السياسية والاجتماعية والعقائدية، لم يستطع تحويل نبيه بري إلى رهينة، فظل هذا الرجل عقدة العقد عند حزب الله. فحتى رفيق الحريري عندما وصل إلى عز ومجد قوته، اقتدر ان يطيح بكل سابقيه من زعامات السنة فلم يبقى أحد ولدرجة عاش معها السنة في لبنان احساساً يجهر ويقول بأن رفيق الحريري هو الزعيم الأوحد لهم قبل ان يعرفوه، فذلك الرجل رفيق الحريري كان اسطورة ايضاً، حققت ما عجز عنه الكاريزمي الساحر السيد حسن نصر الله.

رب قائل يقول وقد يكون محقاً في قوله، ان حزب الله كان قادراً على ان يكون الممثل الشرعي والوحيد للشيعة في لبنان، لكنه لم يرد شطب الرئيس بري، لان هذا الاخير حليف له ولان قواعد اللعبة تقتضي ذلك، فما الضير ان يبقيه ليكون سندا له ويحقق من خلاله سياسات تصب في مصلحة الشيعية السياسية!

على ذلك تكون بالقول ان حزب الله، حتى عندما

بلغ أوج قوته، لم يكن قادراً على تحويل نبيه بري صفراً سياسياً، لألف سبب وسبب، لكن أهم هذه الاسباب هي انه في اللحظة التي يبدأ فيها حزب الله تنفيذ شطبه لنبيه بري وحركة أمل، سينتهي معها حزب الله أوتوماتيكيا، فالساكن في الوجدان الشيعي تاريخياً هو الامام موسى الصدر والساكن في الوجدان الشيعي امتداداً هو نبيه بري، أما حزب الله، فمهما بلغ من قوة وتجحفل فهو في الوجدان الشيعي هيمنة طارئة، يتلمسها شيعة لبنان وفق منطق اللاوعي. فالعقد الاجتماعي الذي وقعه الشيعة في لبنان مع المؤسس موسى الصدر أقوى من العقد الذي وقعه حزب الله معهم.

في الوجدان الشيعي نشأت حركة أمل لسد فراغ الكيانية التي عانى منها شيعة لبنان، فجاء الامام موسى الصدر ليقول للشيعة يجب ان نبني معاً كيانية توازي الكيانيات الطائفية الاخرى في لبنان، فالتفوا حوله، فكانت امل هي المولود الطبيعي لهذا الإلتقاء. ولا يغير في الامر كثيراً القول ان ايران هي عراب هذا الإلتقاء.

أما حزب الله فولد بعد سنوات كثر من ولادة أمل، فهو نشأ نتيجة الخلاف بين أمل وايران، فالتحالف بين أمل وايران لم يكن صلباً ومتينا وانما كان ولم يزل مرناً. وان الخلاف الاول تمثل بتحالف ايران مع حركة فتح في لبنان فكان اقوى من تحالف ايران مع امل في مطلع الثمانينات[٦]

ان كل ذلك لا يعني ان ايران لم تحاول تحييد

نبيه بري وحركة امل بقصد تتويج حزب الله منفردا على الديمغرافيا الشيعية، فعلى العكس تماما، فمنذ الثمانينات كرت سبحة المحاولات الايرانية، حيث كان الصراع دموياً، ولم تتوقف حرب الأشقاء إلا بعد تسوية سورية – ايرانية كانت تتبدل شروطها بتبدل ميزان القوى في المنطقة بين طهران ودمشق. وبرزت نقطة الاختلال بوفاة حافظ الاسد واستطاعة ايران الامساك ببشار الاسد، وعند هذه النقطة ظلت تسمية الثنائي الشيعي شكلاً دون مضمون.

لكن عبقرية نبيه بري عوضت الفارق بين الشكل والمضمون، لان نقاط قوته المنبثقة من كونه علّامة في علم الاجتماع السياسي منحت عبارة «الثنائي الشيعي» قوة دفع رهيبة، ركن لها حزب الله كمن يسلم بالامر الواقع.[٧]

وان كل انتصارات حزب الله ضد العدو الصهيوني والتي زادته قوة بعد قوة، لم تلعب دورها في قفز الشيعة من وجدانهم لمنحهم بعمومهم البيعة له، فمن كان مع حزب الله منهم تمسك أكثر بانتمائه، ومن كان مع نبيه بري لم تجره انتصارات الحزب الى موكب الانتماء الجديد.

ومرة أخرى، اقتدر نبيه بري أيضاً في الشكل والمضمون ان يستقطب الشباب الشيعي رغم اكتساح السيد حسن نصر الله لقلوب الجماهير العربية وليس فقط اللبنانية، فكتلة نبيه بري تسمى «كتلة التنمية والتحرير»، وهي التسمية التي تحمل عنوان استقطاب يقول للشيعة ان امل هي من يتحمل مسؤولية التنمية «الشيعية» طالما ان حزب الله ملهي بمقارعة العدو، فتشكل الوجدان الشيعي مرة أخرى

عند نبيه بري، كيف لا، ومستقبل شباب الشيعة وأحلامهم أخذها بري على عاتقه ونجح الاستاذ بذلك ايّما نجاح.

وفي ظل هذا التوازن الدقيق بين امل وحزب الله والمتحالف مع شعرة معاوية، بدأت تحدث تطورات كبرى، لم يكن نبيه بري مضطرا أصلا على الاستثمار بها، لان الاستثمار سيأتي بقدميه لعنده. ويمكن الجهر والقول ان أخطر تطورين تشكلا من ثنائية دخول حزب الله العسكري إلى بيروت واذلاله لسنتها، ومن دخول حزب الله العسكري لسوريا وقهره لسنتها أيضاً.

فمع الدخول الاول يكون حزب الله قد خسر من رصيده جلّ سُنّة لبنان ان لم نقل كلهم، ومع دخوله الثاني إلى سوريا خسر حزب الله كل جماهيره العربية واللبنانية ايضا التي رفعت أمينه العام رمزا وقائدا لحين لحظة تفضيله النظام السوري عليها، وهكذا لم يعد يتبقى لحزب الله سوى نصف المسيحيين في لبنان، بعد التفاهم الذي أنجزه مع ميشال عون يوم كان زعيما للتيار البرتقالي، لكنه اليوم رئيساً للجمهورية وصهره جبران المتمرد باسيل زعيماً منتخبا للتيارالوطني الحر.

وهكذا فإن الحرب السورية وغطس بل وانغماس حزب الله في وحولها وشربه حتى الاختناق من مياهها الحمراء، هي التحول الاكثر من خطير في المعادلة. يقول احد القارئين للسياسة في ذلك:

«اول مفترق تخشاه أوساط حزب الله في العلاقة مع امل يعبّد هذه الايام من خلال الميدان السوري، يلاحظ

بري وهو السياسي العتيق والحذق، ان الرياح الراهنة تبشر بتبدل شروط حلف الضرورة بين امل وحزب الله. وما هو مفارقة تستحق التأمل ان بري وهو حليف دمشق الاول منذ عهد حافظ الأسد، رفض الزج بحركةٍ امل داخل الاتون السوري، على الرغم مما كان مسلمّا به من ان الحركة هي من حصة دمشق، ورغم إطلالة امل على العروبة من بوابة دمشق. في ذلك ان بري نفسه لم يعد يعتبر ان سوريا بشار تشبه سوريا حافظ في تميزها عن ايران، وفي ذلك أيضا، وهنا المفارقة، ان الرجل لا يجد ان هناك خطراً وجوديا على الشيعة في لبنان اذا ما سقط نظام دمشق. وربما اذا كان من خطر فقوات الحزب تقوم باللازم، فإن نجحوا فهو حليف لم يبتعد عن الخطوط العريضة للتحالف، وان فشلوا فهو البديل الشرعي والوحيد لتمثيل الشيعة في عهد ما بعد الاسد الإبن».[٨]

المهم والخطر في هذا الكلام يتمثل في رسم إطار العلاقة بين امل وحزب الله من جهة وامل وسوريا من جهة ثانية، فالرئيس بري وجد ان المصلحة تقتضي ان لا يدخل سوريا عسكريا للدفاع عن نظام بشار الاسد الذي لم يعد يشبه أبيه بشيء، والرئيس بري لا يخاف على الشيعة في لبنان ان سقط او انتهى حزب الله عسكرياً، فالحضن الواسع والأصلي والأبوة الشرعية موجودة اي حركة امل.

انها نفس المعادلة التي يعمل حزب الله على إنجاز عكسها تماما، فالحزب وجد ان المصلحة تقتضي الزحف نحو سوريا للدفاع عن بشار الذي أضحى اسيراً عند ايران وعنده، وحزب الله يخاف ان يذهب الشيعة إلى حضن امل عندما يعيد التاريخ نفسه.

الفصل الثالث:

حزب الله بين مقارعة التيار ومقاومة الاعصار

- **المبحث الاول: حزب الله بين الثلاثية الذهبية والثنائية الماسية**

لنكن واضحين منذ البداية، فأي صخب سياسي في لبنان يعود الى ان حزب الله هو في لبنان وليس في بلد عربي اخر.

ولنكن متفقين ايضا، فكل الضجيج الانتخابي الذي شاع في لبنان، تنبع اهميته من مسألة ان حزب الله هو احد الاطراف من بين الاحزاب اللبنانية التي خاضت غمار هذه الانتخابات.

ولنكن متواضعين ايضا وايضا قبل ان نقول ان اي انتباه خارجي متأت عبر الحدود فنسمع اصداءه في لبنان، في كل قراه ومدنه وأزقته، انما يجد مصدره في حقيقة تقول ان في لبنان تنظيم يسمى حزب الله، اما البقية.. فتفاصيل، على الاقل في المنظار الاقليمي والاسرائيلي، وقد تمّ التعبير عن ذلك في غير كلام وغير مناسبة.

اما حزب الله نفسه، حزب الله السياسي، فليس بشيء، انما حزب الله العسكري هو كل شيء، هو المدير والمدبر

لكل الانتباهات والاهتمامات والتدخلات العربية والاقليمية والدولية في هذا البلد الذي اسمه لبنان.

لذلك، فإن مقاربة اهمية اي تيار سياسي، او حتى طائفة لبنانية بكاملها، يجب ان تكون مرتبطة بشكل مباشر بحزب الله العسكري اولاً واخيراً. وهذا لا يقلل على الاطلاق من قيمة اي تيار او حزب سياسي لبناني او أية طائفة دينية، لكن المقاربة المشار اليها هنا هي الواقع والحقيقة.

وانطلاقا من ذلك، فإن عقدة العقد بالنسبة لحزب الله تكمن في سُنّة لبنان، في الطائفة السنية، التي تشكل البعد والعمق والامتداد الديمغرافي التلقائي والمنطقي لوطن عربي بياضه وسواده الاعظمين تاريخياً ودينياً: «السُنّة».

ولكأني بأمين عام حزب الله يقول في قرارة نفسه: خذوا مني ومن حزب الله كل شيء وابقوا معنا فرض السلاح والسُنّة من مسلميه لتروا العجائب، لكن نصر الله لا يمكنه قول ذلك لانه يدرك جيداً انه ومنذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري خسر حزب الله من كان معه من سُنّة لبنان.

يدرك حزب الله والسيد حسن نصرالله بشكل خاص جيدا انه لو حدث وناصره كل المسيحيين وكل الارمن وكل الدروز وكل العلويين ومعهم الاقليات في لبنان، وبقي السُنّة، سُنّة لبنان، نافضين يده منه، فذلك لا يمنحه ما يريد.

ويدرك جيدا ان كل محاولاته التعويضية والبديلية لا تفي بالغرض رغم استماتته في انجازها. فالامين السيد حسن

نصر الله، فعلا وحقيقة، لا يريد لا مفاتيح كسروان ولا مفاتيح جبيل ولا مفاتيح زغرتا ولا مفاتيح بشري ولا مفاتيح المتن ولا مفاتيح المختارة ولا مفاتيح بعض الشخصيات المحتارة.

هو يريد بالدرجة ما قبل الاولى مفتاحي طرابلس وبيروت، ويريدهما رضاءًا لا عنوة، وهو لا يريدهما من رئيس بلدية سواء كان قمراً للدين ام علماً له، بل يريدهما من امين عليهما، برمزيته التي تعادل ولو نسبياً وميثاقياً رمزية السيد، وبقوته التي منطلقها زعامتي وفق شروط الزعامة لا النيابة، فشتان ما بين الزعامة والنيابة، يقول السيد مرة اخرى في قرارته.

وبذلك، ووفقاً لهذه المرادات التي تشكل ارادات مبهرة بالنسبة لحزب الله، تتجلى اكثر قيمة الانتخابات النيابية لعام ٢٠١٨ ببعديها الدولي والاقليمي ومن ثم ومن باب تحصيل الحاصل نتحدث عن البعد المحلي، فالمعركة بالنسبة لخصوم واعداء حزب الله دوليا واقليميا تتمثل بشكل رئيس في منع الحزب من احداث اي اختراق سني كبير وواسع، فمثل هكذا اختراق معطوف على انتصار الحزب على الساحة الشيعية سيقوي البنية المجتمعية للحزب ويكدس اجماعاً وطنياً معيناً ترذله المشاريع الاقليمية والعربية والخليجية بشكل خاص التي تسعى الى ابراز حزب الله وحيداً في خطابه السياسي المنتصب على سلاح يجب ان ينزع منه للحد من زمجرة المشروع الايراني الذي قضم الدول العربية المفيدة، من العراق الى سوريا واليمن

ولبنان.

وبهذا المعنى، فإن المطلوب اقليمياً هو عدم مد حزب الله يده على الطائفة السنية وابقائها مرتكزاً قوياً متماسكاً يحرم حزب الله الحيز الوطني الذي يحتاجه اليوم اكثر من اي يوم مضى، سيما بعد ترجله العسكري في سوريا ودوره الكبير في انقاذ نظام بشار الاسد من السقوط، وقد لعب الحزب في ذلك دوراً هاماً.

وبهذا المعنى ايضاً، فالعديد من الدول الاقليمية وعلى رأسها التحالف العربي الذي تقوده المملكة العربية السعودية، هي بأشد الحاجة الى تصويت السنة في لبنان للتيار الرافض لمشروع حزب الله والمندد بسلاحه، وان انتصار هذا التيار سيكون بالنسبة للمملكة وتحالفها معنويا وسياسياً اكثر منه عددياً.

ووفق هذا المعيار، فالمطلوب هو حصد الشخصيات والتيارات السنية المناوئة لحزب الله كل او جل المقاعد السنية؛ انها الانتخابات «الوظيفة»، الاقرب الى الاستفتاء السني اولاً واللبناني ثانياً على مشروع حزب الله وسلاحه.

وان هذا المعيار يحتم علينا القيام بعملية فرز للقوى السنية في لبنان، التي وبعد قراءة غير متعبة وجدنا انها على ثلاث انواع.

اما النوع الاول فهو المتمثل بالتيار المناهض لحزب الله في البعد الاستراتيجي وهو يمثل غالبية السنة، ويتشكل بصورة رئيسية من تيار المستقبل وحركة اللواء اشرف

الريفي والذي هو احد انتاجات رفيق الحريري، وهو يفتخر بذلك.

واما النوع الثاني فيتألف من شخصيات وتيارات سياسية تعتبر نفسها متحالفة مع حزب الله، فعلى صعيد الشخصيات هناك فيصل كرامي وجهاد الصمد وعبد الرحيم مراد والبعريني وجيه وشخصيات اخرى، وهناك على صعيد التيارات المشاريع والتنظيم الشعبي الناصري وتيارات سنية صغيرة جداً.

ويبقى النوع الثالث، ويتشكل من الميقاتية السياسية التي قررت الوسطية عنواناً لها والتي سيكون لنا معها كلام وحديث مفصلين في صفحاتنا اللاحقة.

واذا كان التركيز الدولي والاقليمي منصباً بشكل رئيس على السنة في لبنان، الا ان ذلك لا يعني ابداً عدم السعي لتعرية حزب الله مسيحياً، فضم التيار الوطني الحر الى قوات سمير جعجع وكتائب امين الجميل، هو هدف قوي ويقال ان الرئيس سعد الحريري يعمل عليه منذ اللحظة التي اتخذ فيها قراره الكبير العاصف بالقبول بالجنرال ميشال عون رئيسا للجمهورية.

سوف نقوم بمعالجة كل تلك المقاربات التي قدمناها وقدمنا لها بالتفصيل الممل، شارحين اتجاهاتها وانعكاساتها..

- **المبحث الثاني: الحزب والتيار.. حلفاء لا نجباء**

وفي محصلة هذا السياق، يمكننا ادراك سلوكيات حزب الله اللبنانية، كما يمكننا ادراك مفرداتها ومغازيها، فتفاهمه مع التيار الوطني الحر يوم انجز التفاهم، كان يصب في خانة البديل الذي نتحدث عنه، فمقابل التغطية السياسية لمشروع حزب الله والتي على تيار ميشال عون يومها تأديتها، كان على حزب الله ان يدفع ثمناً، بعضه رضائياً كجزء من صفقة التفاهم وبعضه الاكبر ابتزازياً، حاك بنوده زعيم الرتقالي جبران باسيل، الذي وجد ان مسعى حزب الله بتوصيل الجنرال الى كرسي الرئاسة الاولى، لا يمكن ان يكون البند الوحيد على جدول اعمال التفاهم، بدليل ممارسات وسلوكيات جبران باسيل التي انحنى لها حزب الله يوم ثار عليها الزعيم الوجداني لشيعة لبنان الرئيس نبيه بري.

وان في معركة دائرة كسروان – جبيل مئة سر وسر، بعضها واضح وبعضها لم يزل طي الكتمان. ومن حقنا كباحثين عن الحقيقة ان نسأل مع السائلين اكثر من سؤال هنا:

هل ان ترشيح حسين زعيتر عن دائرة كسروان – جبيل، كان نتيجة نجاح مفاوضات بين امل وحزب والله ام نتيجة فشل مفاوضات بين حزب الله والتيار الوطني الحر؟

هل كان ترشيح حسين زعيتر نابعاً فقط من رغبة حزب الله بحجز كل المقاعد الشيعية على طول لبنان وعرضه ام من لي ذراع اراده الحزب، محرضا من امل، او بدون تحريض، لجبران باسيل كزعيم مستقبلي لغالبية

مسيحيي لبنان؟

هل ان ترشيح الشيخ حسين زعيتر كان بمثابة ضربة استباقية لمنع لي ذراع الحزب من قبل التيار وزعيمه جبران باسيل لمراودات متناسلة وبقوة تشي بأن علاقة الحزب مع التيار الجبراني في مرحلة بعد الانتخابات ستكون مختلفة عما هي قبل واثناء الانتخابات المفصلية؟

واننا اذ نطرح كل هذه الاسئلة، فلأن الحسابات البسيطة تقول لو ان التفاهم بين الحزب والتيار قوي ومتجذر ويصل الى عتبة الحاصل الاستراتيجي، لما فضل حزب الله ان يخرق معقل التيار حيث قوته وضعفه في آن في زمن النظام النسبي الذي يحتاج فيه التيار الى كل صوت في كسروان – الفتوح، فكيف هو الحال عندما نعلم ان عدد الناخبين الشيعة في هذه الدائرة يصل الى عتبة العشرين الفا؟

المسألة لا تقف هنا، فالدوائر التي يتنافس فيها الحزب مع التيار الوطني الحر تتجاوز في معادلاتها ورمزياتها تلك التي يتحالفان فيها.

- **المبحث الثالث: الحزب وسُنّتة.. الحلفاء البخلاء**

مع دخول قانون الانتخابات النيابية الجديد حيز النفاذ، تنفس الكثيرون الصعداء، وبرز من جديد الخطاب الذي يقول ان هذا القانون سيعيد الى ملعب البرلمان نواباً لطالما

رفع القانون الاكثري بطاقته الحمراء بوجههم، فولّوا وجوههم خارج خطوط ساحة النجمة.

ومن جملة من تنفسوا فرحين هم ما يسمون بـ «سُنّة حزب الله»، وهم مجموعة من الاشخاص الذين ينتمون الى الطائفة السنية والذين يتوزعون بين نواب سابقين وبين من يحلم ان يصبح عضوا في المجلس القادم الذي ستفرزه الانتخابات، وهم الذين ليس فقط يغردون خارج الاجماع السني ممثلا بالحريرية السياسية، وانما يعلن سوادهم الاعظم تأييده لخطى وخطوط وخطوات حزب الله.

ويأتي في طليعة هؤلاء في الشمال جهاد الصمد وفيصل كرامي ووجيه البعريني وفي البقاع عبد الرحيم مراد وفي الجنوب – صيدا اسامة سعد، ولا ادري ان كنت نسيت بقيتهم في العد والحسبان.

وعلى ذكر هؤلاء، لا بد من اثارة مجموعة من المسائل التي لم يميز الكثيرون بينها حين الحديث عن المذكورين.

ولعل ابرز هذه المسائل والتي يكرهها حزب الله ويتمنى أشد التمنيات لو انها غير موجودة، تتمثل بحقيقة مؤلمة تقول ان شعبية هؤلاء غير متأتية البتة من خطابهم وخطهم السياسي، بمعنى ان هؤلاء لا يملكون الشعبية التي يملكونها بسبب «عقيدتهم السياسية»، وانما لأسباب مختلفة وتختلف من رجل الى اخر. وهذا يوجع حزب الله كثيراً، لأسباب سنعرضها لاحقاً.

دعونا نبدأ بجهاد الصمد، النائب السابق في الدائرة

التي تقع فيها منطقة الضنية التي ناب عنها، وهو ابن النائب السابق مرشد الصمد، فهذا الرجل هو ابن بيت سياسي، على الاقل هو نائب ابن نائب، مما يعني انه ورث النيابة قبل ان يتصدى لها، ورغم ذلك اطاحت به تسونامي سعد الحريري مثلما اطاحت بغيره وجعلته يجلس في مقاعد الاحتياط. اليوم يعود جهاد مرشد الصمد، ليترشح بعد اطاحة، بقصد التكريس اكثر منه بقصد الفوز، وله حظوظ كبيرة في الفوز، سببها خدماته وقلة ضوابط القانون النسبي.

ووفق قواعد الموضوعية في البحث السياسي، يجب ان يلاقينا جهاد الصمد بالاعتراف في ان شعبيته متأتية من مصدر واحد لا ثاني له وهو حجم الخدمات الاجتماعية وغير الاجتماعية المعروفة والتي يقدمها لأبناء قضاء الضنية بكل قراه، فهو المعروف عنه انه بحالة استنفار دائم، ٢٤ على ٢٤ ساعة، لتلبية مطالب المحتاجين والمساكين الطيبين في المنطقة المحرومة جداً وقد خذلتهم الدولة أيما خذلان وتخلت عنهم كل التخلي، وهو اذ يخدمهم بقلب صادق ونية يجد مردودها عند الله، فإنه يكاد ينفرد بذلك دون سائر الطارحين لأنفسهم كمشاريع زعامتية في الضنية المنسية.

ودوماً وابداً تجد المقارنة تجهر في الاصقاع بينه وبين النائب المنتهية ولايته، دون ان ينتهي مفعولها، احمد فتفت الذي يشتهر بين اهل الضنية وعائلاتها بعدم رغبته في مخالفة القانون ونبذه وكرهه للواسطة التي لا يتردد جهاد

الصمد للحظة في العبور منها واليها، أيّا كانت المشكلة، ومهما بلغ حجمها، فبقدرة قادر، «الاستاذ جهاد»، وكما يحلو لمريديه مناداته، ابهامه دوما على الزناد.

لكن جهاد الصمد يدرك فعلا ان المشكلة هي «الزناد» بحد ذاته؛ الزناد الذي يريده حزب الله منه، الزناد الذي لا يرفع حزب الله يده عنه، الزناد الذي يدرك جهاد الصمد انه لو دنا اصبعه منه اكثر لإنفض محبوه من حوله، مثلما انفض الفرس من القادسية بعد الاطاحة بسيدهم وقائدهم رستم. فحزب الله، يعرف تمام المعرفة ان جهاد الصمد لا يريده مقلدوه، لأنه مع خط أنبوب حزب الله والمقاومة، وانما يريدونه لأن الناس محتاجة وجهاد يلبي لها حاجاتها قدر ما استطاع اليه سبيلا، ولو كان الامر على غير ذلك، لنجح الجهاد في انتخابات ٢٠٠٩، وهذا الذي لم يحصل.

وقد عبّر جهاد الصمد عن ذلك اشد تعبير في المهرجان الانتخابي الذي اقامه فيصل كرامي في قصر آل كرامي بمناسبة اعلان لائحة «الكرامة الوطنية»، والتي هي في الحقيقة لائحة التحالف الرباعي المشكّل من فيصل كرامي والمردة وجهاد الصمد وجمعية المشاريع الخيرية الاسلامية، ففي خطابه الانتخابي العالي النبرة والمنخفض السياسة، ركز الصمد في كلماته التي انتقاها بعناية المهندس في الهجوم على تيار المستقبل، وكان هجوما ً حاداً، وهو الهجوم الذي اخذ كل مساحة الخطاب، ومثله فعل فيصل عمر كرامي.

لقد كانت الخطة مدروسة باعتبارها الخطة التي يمكن ان تجلب اصواتاً في الصناديق، فكان استبعاد تأييد خط حزب الله والمقاومة واضحاً في المهرجان، لكن لماذا؟

لأن جهاد الصمد يدرك جيداً ان كل كلمة تأييد لحزب الله سيكون مقابلها خسارة مئة صوت من الذين يفكرون في الاقتراع له. فمرة اخرى يتحسر حزب الله ويقول قادته في مجالسهم الضيقة: ألهذا الحد نشكل عقدة واحراجاً عند حلفائنا من السُنّة؟

كم يتمنى حزب الله ان يكسر حلفاؤه عينه بمهرجان يقيمونه في مناطقهم دعماً لخط المقاومة او ابتهاجاً بانتصار حققته المقاومة في يوم مجيد من ايامها، فذلك لم يحصل ولن يحصل، لأن جهاد الصمد وحزب الله يدركان المفاهيم الاساسية لعلم الاجتماع الانتخابي، وهو العلم الذي يقول ان هناك مشكلة كبرى بين حزب الله والشوارع السنية، كان جهاد الصمد أبرز الدافعين لفاتورتها غالياً.

ماذا يعني هذا الكلام؟

ان هذا الكلام يعني اول ما يعني، ان حزب الله سوف لن يكون مبتهجاً كثيراً عندما يجد ان جهاد الصمد او غيره من حلفاء الحزب فائزاً في الانتخابات النيابية، لأنه سيدرك في لحظة الفوز عينها ان هذا الانتصار، ان حدث، هو لجهاد الصمد فقط، ولا دخل لا لحزب الله ولا لغيره به، بدليل انك لو انجزت الانتخابات بالقانون الاكثري، سوف تكون النتيجة مشابهة لنتيجة ٢٠٠٩، مع بعض التعديلات

التي أدخلها الرئيس نجيب ميقاتي على قواعد الاقتراع.

لكن هل سيحرم حزب الله نفسه من الاستثمار في جهاد الصمد او غيره من الحلفاء السُنّة؟

قطعاً لا، سيخرج حزب الله بخطاب تصعيدي يقول فيه ان القانون النسبي حقق العدالة واظهر ان تيار المستقبل لا يمثل كل السُنّة، فها هو فلان وعلتان وغيرهما قد نجحوا في الانتخابات، لكن حزب الله سوف لن يحرج حلفاءه ولن يقول ان شارعاً سنياً عريضاً، أثبتت الانتخابات ونتائجها، انه مؤيد لحزب الله ولسلاحه. اقول «لسلاحه» اي لسلاح الحزب ولم اقل «لسلاح المقاومة»، وذلك لان حزب الله يدرك جيداً جدا ان كل السنة في لبنان كانوا مع المقاومة، قبل ٧ ايار وقبل اغتيال الزعيم الاوحد رفيق الحريري وقبل الدخول الاستراتيجي لحزب الله في سوريا.

وما ينطبق على جهاد الصمد، ينطبق ايضاً على فيصل كرامي مع بعض التعديلات الخاصة والمرتبطة في الفرق في الحجم والوزن بين الرجلين وفي الفرق بالمعنى عند حزب الله. ففيصل كرامي يملك حيثية تفوق حيثية جهاد الصمد، فلا نقاش في ذلك، فهو سليل الزعامة التقليدية لآل كرامي التي حكمت طرابلس لردح من الزمن، والرجل يدرك ذلك تمام الادراك، ويتعاطى مع الكل وخصوصاً مع حزب الله على هذا الاساس، فهو ليس مجرد حليف، كباقي حلفاء الحزب من الطائفة السنية، هو زعامة قائمة بذاتها، اينما كان موقعه وأياً كان زمانه.

وان هذا التاريخ من الزعامة الذي دخل في ارث فيصل كرامي، يجعل الرجل مالكاً لجرعة اضافية من الجرأة، فهناك على امتداد شمال لبنان كله، اناس موالون لفيصل كرامي اياً كان موقعه واياً كان خطابه، وان هذه الموالاة سمحت لفيصل الذي ينطلق في طرابلس من الاف الاصوات ان يغامر اكثر من غيره، في تحديده لحلفائه وخصومه، متفقاً في ذلك مع سليمان فرنجية الذي يملك حيثية شبيهة الى حد كبير، في الشكل، مع حيثية فيصل كرامي مع بعض التعديلات التي لا دخل لها ببحثنا.

لكن رغم هذه الحيثية العميقة والمتجذرة وان كانت في تراجع، لا يستطيع فيصل كرامي ان يقول ان شعبيته متأتية من خطابه السياسي، بالمعنى العقائدي للكلمة، وكأني اريد القول ان فيصل كرامي لا يستطيع خوض الانتخابات بخطاب سياسي كبير يجمع ما بين المحلي والاستراتيجي، فالخطوط الحمر الطرابلسية، يدرك فيصل انها كالنار تحرق فيقع الندم يوم لا ينفع.. الندم.

لذلك نجد فيصل كرامي وفي جل خطاباته واحاديثه الانتخابية، يبتعد عن هذه المسألة كل البعد قصداً وعمداً، لا بل انه يرفض احتسابه من او على جماعة الثامن من اذار، ليستبدل كل ذلك بخطاب تهجمي على تيار المستقبل، حيث اللعب هناك مفتوح على مصراعيه، سيما ان شبابيك المستقبل اضحت مشرعة من كثرة الاخطاء والعثرات التي تم ارتكابها. وهذا ما تجلى في مهرجان اعلان اللائحة حيث تتوأم الخطاب بين الحليفين المتنافسين

تفضيلياً فيصل كرامي وجهاد الصمد.

وان المسألة الحزب اللهية المعطوفة على شقيقتها السورية هي من وقف وراء استبعاد الوزير فيصل كرامي للحاج كمال الخير عن لائحته، ذلك أنّ كرامي لا يريد مرشحاً استفزازياً لشارع سنّي ربما لم يزل يتملكه الحنين لقامات آل كرامي واسقاطاتها، لا سيما أنّ الحاج كمال الخير يعتبر شمالاً من رؤوس حربة ٨ اذار وحزب الله تحديداً الكاتيوشيين ويجاهر ويعلن ليل نهار تأييده ومناصرته لحزب الله ونظام الرئيس بشار الاسد، فما يحدث في سوريا مؤامرة، وليس ثورة، الهدف منها القضاء على قلعة العروبة، سوريا، كما يردد دوماً وابداً الحاج كمال الخير.

وعندما التبس علينا لغز استبعاد كمال الخير، لم نجد وسيلة لفهم ما جرى من استبعاد مقصود له، الا التوجه اليه مباشرة لنسأله السؤال البسيط: «حاج كمال لماذا تم التخلي عنك من حلفائك في لائحة الكرامة الوطنية في الوقت الذي يجمعك معهم خطابا سياسيا واحدا؟».

لم يرد الحاج كمال الاستطراد كثيراً في الاجابة، او ربما اعتبر ان ما سيقوله يختصر ما حدث الذي هو وحده العالم بحقيقته وبكل تفاصيله، فكانت الاجابة عبارة عن كلمة واحدة: «الانانية»(١).

ان كمال الخير الذي لم يدرس العلوم السياسية في الجامعات ولم يأخذ درساً في الفنون الديبلوماسية، جاءت

كلمته اكثر من واضحة، بل واضحة وضوح الشمس، فهي الانانية، التي دفعت حلفاءه من فيصل كرامي الى جهاد الصمد وغيرهم ان وجدوا ليستثنوه من تحالفهم، لخوفهم من «جهوريته السياسية» التي يمكن ان تنعكس سلباً على التصويت للكرامة الوطنية، فوجود الحاج كمال على تلك اللائحة قد يحول دون كب الاصوات لها، فتتفلتر الاصوات، كيف لا، والتصويت للائحة مكتوب في متنها اسم كمال الخير، يعني حتماً انها لائحة حزب الله ونظام بشار الاسد.

غير ان كمال الخير لم يقف مكتوف اليدين بل قرر التحدي وعدم الاستسلام، فبادر فوراً الى تشكيل لائحته «قرار الشعب»، ليقول شكلاً ومضموناً ان قرار الشعب عنده وليس عند الخائفين من ميوله السياسية، ورغم ان لائحته سوف لن تنال الحاصل الانتخابي، الا انها ستنال اصواتاً كانت ستصب بالتأكيد في الكرامة الوطنية، فكانت الصفعة مدوية، وقد يكون الثمن باهظاً، ان لم يسارع سليمان فرنجية لنجدة حليفه فيصل كرامي، فهل سيفعل؟

وان فيصل كرامي لم يتفهم محاولات اقناع نجيب ميقاتي له بتشكيله لائحة منفردة مع جهاد الصمد والمشاريع وتكون مستقلة تكتيا وفنيا عن لائحته الا عندما استبعد هو اي فيصل كرامي الحاج كمال عن لائحة «الكرامة الوطنية».

انه التبَرُؤ من كل ما يمت لحزب الله بصلة، لذلك ومرة اخرى نقول، ان حزب الله ومع كل تحالف سني – سني

هنا او فرط تحالف سني – سني هناك يقتنع اكثر واكثر انه سبب او تهمة يريد حلفاؤه قبل خصومه التملص منها.

- **المبحث الرابع: حزب الله ونجيب ميقاتي..بين الوسطية والاوسطية**

مما لا شك فيه انه لا يصح وضع رئيس الحكومة الاسبق نجيب ميقاتي في مجموعة الاشخاص الذين ذكرناهم اعلاه بصفتهم حلفاء لحزب الله والنظام السوري، وذلك ليس من باب غلبة الاهمية اكثر منه من الاختلاف عن هؤلاء وأولئك في الشكل والمضمون.

ففيصل كرامي وجهاد الصمد ووجيه البعريني وعبد الرحيم مراد وكمال الخير وغيرهم، هم مجرد اشخاص لهم جو سياسي معين ويقتصر حلمهم على النفاذ بشخصهم الى قبة البرلمان. وان الانتخابات الراهنة قد اثبتت ذلك، سيّما ان حسابات تشكيل لوائحهم بنيت بشكل رئيس على التمرير المستتر ان صح التعبير.

اما نجيب ميقاتي فالامر معه مختلف تماما، فالرجل أسس بشكل جدي تيارا سياسيا له وزنه الطرابلسي وامتداده الشمالي، وان كنا لا نعرف الكثير عن اجهزته وهيكليته سوى نجيب ميقاتي نفسه وبعض الكوادر المرتبطين بالناس اكثر من ارتباطهم بالسياسة، فأحيانا يطل الدكتور خلدون الشريف ليقول كلاما في السياسة وليمرر بعض الرسائل السياسية من هنا وهناك.

وهذا التيار اسمه «تيار العزم والسعادة»، الذي يصلح القول معه انه التيار السياسي الوحيد في لبنان الذي لا يعكس اسمه اي مكنون سياسي، مع ان كل نفس يتنفسه نجيب ميقاتي، يحمل معه بعداً سياسياً للحظة سياسية.

لندع الانشاء والسرد جانبا، ولنذهب معا ومباشرة الى السؤال المحوري وهو: ماذا يريد نجيب ميقاتي؟

ذلك هو السؤال البسيط والمعقد في آن، وهو السؤال الذي يطرحه الاقربون من ميقاتي اكثر من الابعدين، وهو السؤال الذي يطرح من الحلفاء اكثر من الخصوم او المنافسين.

ولكأنك مع ميقاتي امام فوضى فكرية مقصودة لدرجة تعتقدها خلاقة، فإن كانت كذلك فهي السياسة بأصعب فنونها، وان لم تكن كذلك فهي شيء اخر يصعب فهمه.

لكنها وفي كل الاحوال، «الفوضى الفكرية» التي تعجز مهما كنت نبيهاً في السياسة او لبيباً او حسناً لها او فيها ان تفك رموزها، لولا الخيط الرفيع الذي نسجه ميقاتي عندما طرح في سوق السياسة عقيدته:»الوسطية».

وعلى أية حال، لم يتوقف كثيرون عند وسطية الرئيس ميقاتي، فالمسألة بالنسبة للسواد الاعظم اشبه بترف فكري وحده نجيب ميقاتي من يقدر على فك رموزه ببراعة السياسي الحاسب للشاردة والواردة. واذا اردنا الشرح اكثر فلنبحر معا في المعادلات السياسية التي يركبها دولة الرئيس بعنايته الفائقة الدقة.

ففي مقابلة تلفزيونية مع نجيب ميقاتي، يسأله مقدم البرنامج حرفيا: «دولة الرئيس، من هم الوسطيون معك في الساحة السياسية»؟، يجيب نجيب ميقاتي حرفياً بعد ابتسامة تنم عن حنكة وصنعة في السياسة: «لست بميزان التقييم، نحن امة وسط، من ايام الرسول عليه السلام، فأنا اذا كنت حقيقة مرتاح الضمير وعلى سنة الرسول، فما هو خوفي ومن اريد ان يكون معي»[٢].

انها اجابة، لم يكن نجيب ميقاتي قد حضرها مسبقا مع مستشاريه، لانه سؤال قلّ ما يمكن ان يخطر ببال، فأحالنا بالاجابة الى الرسول عليه التحية والسلام، معترفاً بشكل واضح انه لا احد في لبنان يتبنى وسطيته، فكانت سقطة واضحة لنجيب ميقاتي، الذي لو كنت مكانه لقلت بأن غالبية الشعب اللبناني وسطي.

دعونا نذهب في العمق اكثر، ونحاول البحث عن الوسطية في فكر نجيب ميقاتي كعقيدة سياسية استقطبت شعبية يحظى بها الرئيس ميقاتي بقوة وفي الشمال خصوصا، فنطرح السؤال التالي: كم طرابلسي من الالاف التي ستقترع للرئيس ميقاتي، انما ستقترع له على خلفية الوسطية التي يعتنقها؟

نحن اذن امام رجل يملك ثروة مالية يريد ان يستثمر بجزء كبير منها في السياسة، لكن لماذا؟ ماذا يريد؟ ما هدفه؟ ما هو مشروعه السياسي؟ ما هو طموحه السياسي؟ الى ماذا يسعى نجيب ميقاتي فعلاً وحقيقة

تلك هي الاسئلة التي تبحث عن اجابات..وليت نجيب ميقاتي يساعد السائلين في الاجابة عنها.

اذا راجعنا الادب السياسي الذي تحدث عن نجيب ميقاتي، سوف نجد انه مقابل واحد يمدح هذا الرجل هناك عشرة ينتقدونه، لا بل هناك مقالات سياسية اتسمت بالقسوة والشدة على هذا الرجل، خصوصا الاقلام السياسية التي تتبع الخط السياسي الذي لا يلتقي مع نجيب ميقاتي.

لكني اعود واقول واطرح: ماذا يريد نجيب ميقاتي؟

دعونا نتفق على مجموعة من العناوين التي اعتقد ان اثنين لا يختلفان حولها بخصوص نجيب ميقاتي.

ويتمثل العنوان الاهم في ان نجيب ميقاتي هو رجل يتفادى دوماً اخذ موقف سياسي في القضايا اللبنانية الكبرى. تجده دوماً يسير بين نقاط المطر، ليصل الى منزله ودرجة البلل عنده في حدودها الدنيا.

ولناخذ مثلا على ذلك الازمة السورية، اي الحرب الدائرة في سوريا بين المعارضين للنظام من ابناء المدن والقرى السورية من جهة والقوات العسكرية السورية والروسية والايرانية وكتائب حزب الله وغيرهم من جهة ثانية. ففي هذه الازمة لا يمكنك ان تأخذ من نجيب ميقاتي موقفاً واضحاً تبني عليه موقفك السياسي تجاهه، فتؤيده او تعارضه، تمدحه او تهجيه، تقف معه او ضده. تتيه مع نجيب ميقاتي في مواقف الحسم، فيحل اللاعزم بدل الحسم، وتكون بمنتهى الصراع مع الفكر.

فبعد ان أتعب الرئيس ميقاتي المذيعة في قناة الجزيرة الجميلة ألسي أبي عاصي في التوصل الى اجابة محددة منه بشأن معنى «النأي بالنفس» وهي العقيدة التي ارتداها ميقاتي خصوصا عند مقابلة ومقاربة الازمة السورية، عادت ألسي وسألته للمرة الاخيرة فقالت له حرفيا: «فقط لمزيد من التوضيح سيد ميقاتي، النأي بالنفس، البعض فسره على أنه نوع من دعم للنظام السوري»؟

يرد عليها نجيب ميقاتي حرفيا ايضا: «أنا لا أفهم... أنا قلت مراراً في عدة مقابلات لو اتفق كل الشعب اللبناني لدعم النظام ماذا نستطيع أن نقدم للنظام، ولو اتفق كل الشعب اللبناني ضد النظام هل يستطيعون أن يقوموا بشيء ضد النظام، لماذا نحن نريد أن نتدخل بأمور، حقيقة لا تغير شيء من مسار الأحداث، وفقط يكون لها عواقب على لبنان عوضاً من أن يكون لها..»[٣].

وفي تفسيره لعنوان او سياسة النأي بالنفس، يسأل صحفي اخر نجيب ميقاتي فيقول: «دولة الرئيس، رفعتم في حكومتكم الثانية التي كلفت بها عام ٢٠١١ شعار النأي بالنفس، لكن حزب الله تدخل في سوريا ولم يحترم هذا الشعار»، كيف ذلك؟

يجيب نجيب حرفيا: «انا استقلت من الحكومة في ٢٣ اذار ٢٠١٣، اما اول بيان اصدره الحزب ويعلن فيه عن عملياته في سوريا كان في بداية نيسان ٢٠١٣، وهو ما يعني ان الحزب كان محترما في الحكومة بسياسة النأي بالنفس»[٤].

رائع هذا النجيب ميقاتي بمشيته بين المطر، فهو لا يعلم انه بين استقالة حكومته وبيان حزب الله سوى اسبوع واحد؟ ولا يعلم ان التحضير للدخول يحتاج لأشهر؟ ويظن ان فارق الاسبوع قد انقذه من السؤال – التهمة؟، رغم انه في المقابل لا يؤيد المشروع الايراني في العالم العربي وينحني امام السعودية..على حد قوله. هنا تصل السياسة مع نجيب ميقاتي الى أرفع فنونها.

لندع كل هذا الكلام جانبا ونبحث في نجيب ميقاتي اكثر، واعتقد عكس ما يعتقد الكثيرون، اعتقد ان سياسة نجيب ميقاتي سهلة وبسيطة وواضحة، وهي سياسة مرتبطة بشخصيته قبل كل شيء اخر.

ففي السياسة لا يريد نجيب ميقاتي ان يصطدم، ولا يريد ان يصطف، ولا يريد ان يؤخذ عليه موقف.

يدرك نجيب ميقاتي ان لبنان اسير مشاريع دولية واقليمية متناقضة، ويدرك ان هناك مشروعين كبيرين يتأرجح لبنان بينهما، مشروع اميركي اقليمي عربي، ومشروع ايراني بامتدادات اقليمية واضحة، يعرف بمشروع الممانعة.

يدرك نجيب ميقاتي جيداً ان حجز موقع له بين هذين المشروعين صعب ومعقد، وهو بالتالي لا يريد ان يكون رأس جسر لأي منهما، فهو ليس بالوزن السياسي الكبير الذي يعول عليه لكسر ميزان في القوة هنا او هناك. وفوق ذلك، يريد نجيب ميقاتي ان يكون له خط، ولو رفيع، يعرفه الناس به. وهذه مسألة مهمة في علم الشخصيات

القيادية، بغض النظر عن مدى القوة الزعامتية التي اقتدر نجيب ميقاتي ان يحجزها لنفسه.

وكأني أريد القول انه لو وجد نجيب ميقاتي فسحة سياسية ثالثة، افضل من الفسحة المتاحة لإنقضّ عليها بعزم وعزيمة وختمها بالوسطى بدل ان يختمها بالابهام، لكن سوء حظه اوقعه بين مشروعين كبيرين يحجزان شعبيا اكثر من ثلاثة ارباع الشعب اللبناني، فوجد ان هناك ربعاً يتيماً يمكن التعويل عليه.

من هنا يسهل قراءة معاني الوسطية التي اعتنقها ميقاتي ديناً سياسياً، فهي مصطلح لا يحمل في البعد الاستراتيجي سوى معنى واحد، وهو انني انا نجيب ميقاتي لست هنا ولست هناك، وانما في طريق ثالث، لكنه ليس الطريق الثالث الذي ينفض يده بالمطلق من هذا وذاك، وانما الطريق الثالث المربوط دوماً بهذا وذاك، فنجيب ميقاتي موّل المحكمة الدولية التي يعرف جيدا انها تريد محاكمة قادة في حزب الله والنظام السوري، لكنه لم يتبنى المحكمة، كما انه لم ينادِ يوما بنزع سلاح حزب الله، لكنه يقول ان سلاح المقاومة هو «مقدس» عندما يكون موجها ضد اسرائيل.

نعم لا يمكن لنجيب ميقاتي ان يفك الارتباط لا مع ايران وحزب الله ولا مع السعودية وحلفائها في لبنان، ففي اللحظة التي يفك فيها ذياك الارتباط تموت فكرته السياسية وتغتالها السذاجة.

هذه الفوضى السقراطية التي يعيشها فكر نجيب ميقاتي، سببت له معضلة لم ولن يستطيع التخلص من تداعياتها، ففي الوقت الذي يعرف نجيب ميقاتي حتماً ماذا يريد، فإن قلة قليلة من اتباعه وكوادره وانصاره او جمهوره، تعرف، ماذا يريد ميقاتي، وكيف يفكر وما هي اللحظة السياسية الراهنية واي موقف تحتاج.

هذا الواقع المكبل بتناقضاته واستعصاءاته، هو السبب الوحيد الذي جعل ميقاتي متربعا وحده على عرش العزم والسعادة، دون مكتب سياسي وهيكيلية ادارية ذات طابع سياسي، فالقرار او الموقف السياسي له وحده فلا داعي للاخرين ان يعرفوا الكثير، فهناك سياسي يأخذ القرار لحظة الاستحقاق.

يدرك نجيب ميقاتي ان لبنان بلد غير ديمقراطي، ويدرك ايضا ان السياسة في لبنان لا تعبر من الايديولوجيا او الفكر السياسي وانما من مصدرين: المال والقوة، هو يدرك جيدا ذلك، لذلك قبل المعادلة عندما ادرك انه يملك المفتاح المالي الذي يخوله الولوج اينما اراد. ففتح خزائنه واودعها خدمة في مؤسسات اجتماعية لأجل فقراء لم يفك الرباط او الارتباط معهم، وهم السنة، تلك الجماهير التي تنتمي للطائفة الاكثر فقراً في لبنان.

ان كل ما تقدم يطرح سؤالاً محورياً لا يمكن القفز من فوقه والا فلا قيمة لكل ما كتبناه، والسؤال هو: ماذا يريد نجيب ميقاتي؟ وبالتالي ماذا يريد نجيب ميقاتي من الانتخابات النيابية لعام ٢٠١٨؟

يبدو ظاهراً للعيان ان نجيب ميقاتي متأثراً جدا بالراحل رفيق الحريري ولطالما عبر عن ذلك بالقول انه يملك طموح رفيق الحريري، ويحاول جاهداً ان يبرز مثله، خصوصا انه استخلص من التجربة السياسية لرفيق الحريري اكثر من عبرة، اهمها ان المال جرافة مصفحة، ان جعلتها تمشي امامك فكل الصعاب والتضاريس تتحول الى حصى ناعمة تعبد كل السبل لنيل المراد.

لكن نجيب ميقاتي يدرك ايضاً ان المال وان افلح معك وحقق كل وظائفه، الا ان سقفه محدود، عندما تكون الظروف مختلفة، فالظروف المالية غير كفيلة بخلق نفس الظروف السياسية.

وان المسألة غير مرتبطة فقط بالظروف، فهناك الاعتبار الاهم، وهو المشروع، والقوى الدولية التي تدعم المشروع، فاذا كان صحيحا ان رفيق الحريري حمل وحمّل مشروعاً سياسياً ضخماً كلفه حياته شهادة، فالصحيح أيضا ان نجيب ميقاتي لا يحمل مشروعاً ولم يحمّل مشروعاً، او ربما رفض هو ان يحمل ما لا يريد.

واذا كان كثيرون في لبنان قد تمنوا ان يحملوا مشروعا كذلك الذي حمله رفيق الحريري، فنجيب ميقاتي قد يكون واحدا منهم.

دعونا لا نلجأ كثيرا الى تدوير الزوايا، ونعترف، وبالاذن من دولة الرئيس نجيب ميقاتي، ان المسألة ليست مرتبطة فقط بالظروف المالية والظروف السياسية، فهناك بعد

شخصي في المسألة، واحيانا هذا البعد الشخصي يتجاوز في اهميته وبكثير كل الظروف وكل الاموال وكل الابعاد.

وانني اذ اقارب البعد الشخصي، فأقصد تحديدا الفارق في الشخصية بين الرجلين، بين نجيب ميقاتي ورفيق الحريري، فرفيق الحريري زعيم وقائد وهالة وهامة ومقتدر ومهيوب ونافذ، اما نجيب ميقاتي، فإن كان يملك بعضا من تلك المزايا، فليس بالمنسوب الذي فاض به رفيق الحريري وطاف، لكن بالتأكيد ايضا يملك نجيب ميقاتي سمات لم يكن يمتلكها الشهيد رفيق الحريري، فأعود واقول اننا امام شخصيتين مختلفتين.

فمثلا، لو سلمنا جدلا ان نجيب ميقاتي هو رفيق الحريري، فإن اول نتيجة سنتوصل لها هي ان نجيب ميقاتي، سوف لن يذهب بمشروعه لدرجة الخطر الذي ذهب فيه واليه رفيق الحريري.

يحذر نجيب ميقاتي، يحذر من كل شيء، يحذر التصريح كما يحذر الصمت، يحذر سوريا كما يحذر السعودية، يحذر السياسة ويريد ان يتزعم عرشها، فتتحول الارادة الى حلم يتسلح بالوقت والصبر والعزم لتحقيقه.

هو قطعاً لا يحب النظام السوري وهو قطعاً لا يحب حزب الله، هو يحب ان يكون زعيماً ربعياً او ثلثياً او نصفياً لطائفته ولو اتهموه بالطائفية، لكنه يحذر من النظام السوري ومن حزب الله.

هو يكره ايران ويحب السعودية، لكنه يدرك ان ظروف

المملكة قاسية، وربط الحصان عند شجرة واحدة قد لا يقيه حرقة شمس قد تشرق من الغرب في زمن السياسة فيه لم تعد سوى بيزنس.

حذره وحساباته الزئبقية، سمتان انعكستا بشكل كبير وسلبي احياناً على ممارساته السياسية. وقد كانت الانتخابات ارفع مثالاً على ذلك. رفض خوض الانتخابات بلائحة واحدة مع حلفائه من فيصل كرامي الى جهاد الصمد ومصباح الاحدب، فأقنعهم بالافتراق الانتخابي ودفع الفدية فأصبحت كل لوائح طرابلس هي لوائح له كما شيع، ما عدا لائحة سعد الحريري، وهو ما تجلى ساطعاً في خطابات رؤساء هذه اللوائح.

يريد ان يربح مرتين في التسديدة الواحدة، مرة عندما يكسب ومرة عندما يكون مكسبه خسارة للاخر، وهو ما تجلى ساطعا في ترشيحه لجهاد يوسف عن قضاء الضنية، دون ان يدري الاخر انه اداة كسب.

ولتاكيد فكرتي هذه، اتصلت بجهاد يوسف، عارضاً عليه مقابلة اسطرها في الكتاب، وافق بعد عمق تفكير واقترح ان تكون في منزلي، وفعلا حضر الي، ودار حديث بيننا، التمست من خلاله طيبته القروية التي جعلته حالماً، حاولت استفزازه من السؤال الاول عندما قلت له: «يا رجل ما الذي جعلك تحط رحالك عند دولة الرئيس ميقاتي، ففهم السؤال على طريقته الطيبة وقال حرفيا: «دولة الرئيس يملك المال، فأين المشكلة في ان نستفيد منه لإفادة ضيعتنا، والناس فقراء ويحتاجون لخدمات»،

بإجابته هكذا انهيت المقابلة واحتسينا القهوة التي شربها على مرحلة واحدة.

وبعد كل هذا الكلام التحليلي عن نجيب ميقاتي، في الانسان والسياسة، اعدكم ان لا اطيل اكثر، فأعود واطرح السؤال للمرة الاخيرة: ماذا يريد نجيب ميقاتي من الانتخابات النيابية؟

بعد كل المحطات والمفارق والمنعطفات والوسطيات السياسية التي عاشها نجيب ميقاتي، منذ دخوله المعترك السياسي وحتى اليوم، توصل هذا الرجل الى قناعة جد بسيطة مفادها ان عدم تجاوزه او القفز من فوقه، وان اخذه بالحسبان عند رسم المعادلات السياسية دوليا واقليميا ولبنانيا، امر يتطلب منه بناء كتلة نيابية معتبرة، تسمح له بالقول: انا هنا.

ويبدو ان نجيب ميقاتي، وجد في القانون النسبي ميقاتاً مناسباً لرفع صوت الفرصة، التي وعد نفسه بالتعاطي معها على أنها الفرصة الاخيرة.

ولانه يدرك فعلة المال ودوره، جاء ضخه للمال السياسي هدارا، لدرجة ظن الطرابلسيون واهل الضنية والمنية ان الرجل لا يمول لائحته ومرشحيه فحسب، انما يمول اللوائح الاخرى.

وفي هذه الانتخابات، يعمل نجيب ميقاتي على خطين. اما الخط الاول، فيتمثل بعزيمته في حصد لائحته، لائحة «صوتك هو الحل»، اكبر عدد ممكن من الحواصل

الانتخابية وبالتالي المقاعد النيابية.

اما الخط الثاني، فالطرابلسيون يتبادلون الحديث عن رغبته القوية في فوز اكبر عدد من المرشحين في اللوائح الاخرى، لا سيما لائحة فيصل كرامي ولائحة اشرف الريفي، فما يدور في رأسي ميقاتي يشي بأنه يريد ان يربح كلما خسر سعد الحريري، ليصل الى معادلة تقول انه كلما توزعت المقاعد بين اللوائح في دائرة طرابلس - الضنية - المنية، كلما خسر سعد الحريري، لكن بشرط ان تحصل لائحته، اي لائحة نجيب ميقاتي، على اربع او خمس مقاعد.

يريد نجيب ميقاتي ان يكون هو السبب الاول والاوحد في كسر الاحادية السنية، لا لشيء، الا ليجلس شريكاً، لا خصماً، مع سعد الحريري. فمن يمكن ان ينسى عبارته الشهيرة في زمن الخسارة المشتركة امام اشرف ريفي في الانتخابات البلدية عندما قال نجيب ميقاتي انه يفضل الهزيمة مع سعد الحريري على الانتصار عليه. كم معبرة وحمالة هذه العبارة وكم من المعاني النفسية تحمل وتتحمّل وتُحمّل.

لا يمكن ان ينتهي الحديث مع دولة الرئيس ميقاتي وعنه، واعدكم بكتاب خاص حول ميقاتي وسياساته وشخصيته قريبا جدا.

- **المبحث الخامس: حزب الله واشرف ريفي.. البروتوستيون الجدد**

في مقاربة ما يريده حزب الله من أشرف ريفي، لا يمكن البدء الا من حيث بدأ رفيق الحريري ومن ثم اغتيل، فهي البدايات الجميلة التي كانت الآلاف تظنها ترعرت في الزمن الجميل، لكن الحقيقة كانت مغتالة بمسدس كاتم الصوت. وان القصة بدأت مع رفيق الحريري، واليكم التفاصيل:

«ما حدا اكبر من بلدو»، عبارة قالها رفيق الحريري يوماً ليرد على اسئلة أفخاخ، بعضها طرح علناً وبعضها طرح سراً، مراهنة على شخصية رجل كانت هالته السياسية تتجاوز كل الحدود كما أسلفنا، أسئلة كان يريد البعض او ينتظر، ان يرد رفيق الحريري عليها بالقول «بيستاهل لبنان».

وهي الاجابة التي يمكن ان تعكس غرور رجل تحوز شخصيته وقوته كل مقومات الغرور والشوفينينة، لكنه.. لم يقلها ولم يمارسها، فأصر دوما على القول: «ما حدا اكبر من بلدو».

وهي ذياك العبارة التي حصنت رفيق الحريري اكثر وشكلت صمام امان لشعبية رجل كان يصر هو على ثباتها في المقام الاول وتصاعدها في المقامات اللاحقة. انها السياسة الاحترافية التي لا يمكن الا ان تصيب الهدف.

في حينه، وفي لحظة القول ولحظات الصدى والسمع،

كان الظن عند العامة يشي بأن رفيق الحريري بنى مدرسة وطنية في السياسة، وسيكون نظّارها على الاقل حريصين على مبادئها وملتزمين نظامها الداخلي على الاقل، لكن اختباراً واحدا في السياسة ما كان ليحصل، فاحد من هؤلاء لم يتعرض لأي امتحان، وذلك لسبب بسيط وهو انه عندما كان رفيق الحريري حياً يرزق كان هو وحده المشهد وكان هو وحده السياسة وكان هو وحده الشاشة وكان هو وحده الحاضر، وكل الاخرين الا من رحم ربي، كان حضورهم تفصيلاً يذكره اللسان من باب الصدفة. وسعيد الحظ من بينهم من كان يشاكس رفيق الحريري في موقف هنا او موقف هناك او موقوف ..هنالك.

قتل رفيق الحريري ودفن السر معه، سر نظرته لمن معه، سر كيفية تعاطيه مع من كان معه، ووحده فؤاد السنيورة من حظي بلقب الصديق القريب، هكذا دوما كانت الصورة تتكلم. ولو كان لوئام وهاب رأي اخر لم يستطع السنيورة ان يفنده او لم يرغب، فقصة تيسير قبعة ان كانت صحيحة وسليمة تكون قد وضعت مرافق رفيق الحريري السياسي لا الامني في موقع يشي بأمور شتى، سيما ان رفيق الحريري ان كان كلام وهاب صحيحا يكون قد استثمر بالسنيورة تحت جناح التوزير المستمر، وانا شخصياً لا اتوقف عادة عند كلام وهاب لكنني توقفت هذه المرة وتوقفت وتوقفت، و»توقفت» الثانية ليست بخطأ مطبعي وانما لأنه يجب التوقف عندها.

وعلى أية حال، فالذي حدث انه بموت رفيق الحريري

عاش الكثيرون، الا فؤاد السنيورة، وبين ذلك الموت وتلك الحياة بدأت الاسرار تتكشف وتبان. وليتها ما كانت بل ليته لم يمت، ليس لأنه يستحق الحياة، وهو يستحقها حتماً، وانما لان المفاجأة بدت فاجعة ومفجعة.

قتل رفيق الحريري وعاش دمه؛ الدم الكفيل بإعادة احياء رفيق الحريري او اظهار المشهد الداخلي في أروقة المستقبل وكأن رفيق الحريري لم يمت، الدم الذي أخذ على عاتقه دفن النتيجة القاتلة ولو مؤقتا، الدم الذي كان الاكثر وفاءً لرفيق الحريري مقارنة مع الكل او الاغلبية. الدم الذي معه ولدت المعاني الابرز لمقولة «الدم ينتصر على السيف»، لكنه كان سيف الحقيقة وليس سيف الحسين الحسن.

سجل اذن انه علينا قبل ان ننادي بالحقيقة وبحقنا في معرفة الحقيقة، ذلك الشعار الستار، علينا ان نبحث عن حقيقة أولى وتساوي الحقيقة في معرفة القاتل، وهي حقيقة الارث السياسي لرجل بحجم رفيق الحريري، ذلك الرجل البتار.

وهنا اتحدث عن الارث بالمعنى العام وليس بالمعنى الضيق للكلمة، فلا مكان لسعد الحريري في المحاسبة هنا وانما لرجال يأتون في الدرجات التي تلي في سلم مستقبل عاهدوا رفيق الحريري على الاستمرار في بنائه.

كان سعد الحريري وريث الدم والسياسة صادقاً ولم يزل وهو لا يستطيع الا ان يكون كذلك، فالمقتول هو الاب

الذي تتمنى نصف رجال البشرية ان يكونوا أبناءاً من صلب ذلك الرجل، لكن الله قرر وحدد. ولم يزل حتى اليوم صادقاً مهما عظمت اخطاؤه السياسية، ولنا مع هذا الوريث وقفات في الفصول اللاحقة.

لكن وبانتظار الوصول الى تلك الوقفات، لن تنتظر الحقيقة الاستطراد أكثر، فهي تطوقنا من كل حدب وصوب، حقيقة رجال بحثوا عن مستقبلهم لا عن مستقبل خط ورسم الزعيم رفيق الحريري عناوينه الكبرى.

في اطار انجاز كتابي هذا، اجريت سلسلة مقابلات مع قادة في تيار رفيق الحريري تيار المستقبل، سألت احد قيادات التيار سؤالاً بسيطاً يطرحه كل سني يحب رفيق الحريري لكن له مجموعة من التحفظات على سلوكيات قيادة التيار بعد رفيق الحريري، والسؤال يقول:

أليس في الامر مبالغة وشخصانية ان يكون جل قيادات تيار المستقبل من آل الحريري، لماذا لا يعطى الدور للاخرين ونكون امام تشكيلة متنوعة لكل فيها نصيب فهكذا يشعر المحب ان التيار هو ملك الكل وليس ملك العائلة فقط؟

تنهد هذا المسؤول قليلاً ثم صمت دون ان استدرج صمته فتركته يكمل مسيرة تقاسيم وجهه وجوابه المنتظر، لكنه اجاب دون تردد، وبثقة وبصدق محب قال: «يا دكتور مازن انت وانا نعرف ناسنا ومجتمعنا، منعرف اللبناني، هذا التيار ما بيتسلم الا لحدا من بيت الحريري

لأنو هيدي امانة والامانة ما بتنعطى لحدا غريب».

احترمت كثيرا ذلك الرجل الذي لم يهرب من الحقيقة، وانما قالها كما هي دون زيادة او نقصان، وبالمناسبة هذا الرجل، هناك اجماع على احترامه وصدقه ونضاله في تيار المستقبل، لا بل ان مسيرة حياته عامرة بالوفاء وتشي انه لم يثرِ ولم يضف له رفيق الحريري في رصيده ليرة واحدة، عكس الكثيرين الذين أثروا او كبروا على ظهر ومن جيب رفيق الحريري.

مات رفيق الحريري وعاشت الطموحات اذن، طموحات اناس ينتظرون كل شيء على المفرق، وطموحات اناس اخرين كانوا هم المفرق، وطموحات اناس ثالثين لم يفارقوا المفرق حتى الان رغم كيل الرفض الذي يلحق بهم.

لطالما عانى شعب رفيق الحريري من جماعة رفيق الحريري لكن وجود وشخصية وهالة رفيق الحريري حقائق ساطعة تبلسم الوجع «السني» وجديرة بتاجيل المعالجة، فالطبقة النفعية التي اوكلها رفيق الحريري ومن بعده سعد الحريري مهمة خدمة الناس - لا تمثيلهم - ومنذ اللحظة الاولى كانت اصابع الشكوك تدور حولها، او حول سوادها الاعظم كي لا نأخذ الكل بجريرة الاغلبية.

والحقيقة تقول ان حزباً سياسياً لبنانياً لم تتشكل في طياته طبقة حساسة غير سوية كما هو الحال في تيار المستقبل، فلا مجادلة في عرض المعادلات التي تقول ان رفيق الحريري شيء والذين أمّنهم المسؤولية شيئ اخر،

وان مشروع رفيق الحريري شيء ومشاريع من عوّمهم رفيق الحريري ومنحهم مسؤوليات شيء اخر، وان همّ رفيق الحريري شيء وهمّ البقية شيء اخر، نعود ونقول مع القائلين: الا من رحم ربي.

هل نتحدث عن حالات الاثراء البرقية التي طرأت مع اشخاص في تيار المستقبل، ام نتحدث عن مسؤولين ووزراء في تيار الرئيس الحريري بنوا غرفاً سياسية ضيقة خاصة بهم اشبه بالوكالات الحصرية فأصبح المحسوبون على هذه الغرف يكنون الولاء للوكيل الفرعي لا للتيار ولا للزعيم الشهيد او ولي دمه، ام نتحدث عن عائلية وجهوية داخل التيار فكم من مسؤول يحرض على مسؤول اخر في التيار ويسوق فكرة انه ليس ابن بيت سياسي وليس ابن عائلة عريقة، وهذا حصل ويحصل على مستوى وزراء ونواب في التيار وعنه. وهذا كلام قاله لي مسؤولون كبار في تيار المستقبل وحصل الامر معهم ومع غيرهم.

ولقد اخبرني احد قيادات التيار ان الامر وصل بأحد المسؤولين في التيار انه وبعد مرور خمسة ايام فقط على استشهاد الرئيس رفيق الحريري ذهب الى السفارة السعودية ليعرض على المملكة جهوزيته لخلافة الزعيم الراحل رفيق الحريري وهو ليس من اسرته قطعا وانما هو احد وزراء رفيق الحريري دوماً. وسواء حصل هذا الامر فعلاً ام لم يحصل، الا ان اهميته تنبع من ان الذي صرح به هو شخصية قيادية في المستقبل وصقراً من صقوره الاشداء.

ان تيارا على مساحة وطن وعلى اهمية طائفة وهي

الطائفة السنية المشكلة للامتداد العربي في لبنان أنشأه وسخره رجل بحجم رفيق الحريري، يزخر بهذا الطيش والانانية والمفخخات الغدرية، لا يمكن ان ينجز استحقاقات بحجم معادلات اقليمية تتكالب على مصادرة مخرجاتها افاعي من بلاد العجم والغرب وصهيون.

وعلى أية حال، قتل رفيق الحريري وعاشت الثورة في سوريا، ولكانما هذه الثورة ما كان لها ان تندلع الا للكشف عن الحقيقة..

عاشت الثورة التي أسأل كل يوم عن انعكاساتها على لبنان فلم اجد الا امتطاء صهوتها من قبل مستقبليين لحجز مقعد هنا او الابتزاز باخر هناك..

عاشت الثورة وعاش المفرق فظهر الفارق والفرق فكان المفترق.

عاشت الثورة في سوريا وعاشت الثورة في لبنان، لكن الذي عاش وظهر هو الانقلاب الهستيري الذي حصل داخل تيار المستقبل، هو ليس بانقلاب لكنني اسميه لشدة هوله بإنقلاب. نعم لقد انجز مقتل رفيق الحريري ثورة في سوريا وانقلاباً في تيار المستقبل.

واني اذ اسميه انقلاباً في تيار المستقبل، فذلك لأن مراكز القوى بانت وادركها سعد الحريري صدفة او بعد قراءة وتحري. لكنه عندما ادركها سعد الحريري وقبل ان يباشر بفرز اوراقه كتب الاخرون اوراقهم فكانت الاستقالة غدرا بالاقالة. وفي التفاصيل نقول التالي:

شكلت الثورة في سوريا مناسبة لرسم خطوط الخطاب السياسي الذي على اساسه يعيد العديد من المسؤولين في تيار رفيق الحريري او المحسوبين عليه او الذين صنعهم او صنّعهم التيار انتشارهم السياسي، فالثورة في سوريا كانت المناسبة الافضل ليطلق الجميع العنان لمشروعه الخاص.

ويومها كان عامة السُنّة يظنون ان الخطابات والتصريحات نابعة من مصدر واحد وان هناك غرفة سياسية اعلامية واحدة في قيادة تيار المستقبل تكتب ما يُطلق من على ألسنة المنضوين تحت راية هذا التيار، فبشار الاسد مجرم والشعب السوري المظلوم ثائر ونحن اللبنانيون وخصوصا السُنّة يجب ان نقف مع أبناء جلدتنا من أبناء الشعب السوري المهدد بالقتل والانقراض على يد نظام طائفي سفاح لا يبقي ولا يذر.

وان حلفاء بشار الاسد في سوريا وايران هم قتلة مثله ويجب ان نصعد ضدهم وكلما صعدنا كلما ارتفعت اسهمنا في شارعنا المسكين الذي كان يوافقهم الرأي، مع فارق بسيط وهو انه شارع صادق لكنهم ليسوا كذلك بالضرورة بل بالضرر.

ومرت الايام بل والسنون ولم يتغير خطاب نظّار مدرسة رفيق الحريري، لا بل ان معين المرعبي مثلا وصلنا بخطاباته وتصاريحه لدرجة بدانا نستعد معه لحمل السلاح لمؤازرة الاخوة في سوريا او الزحف نحو طهران لتحرير دمشق منها.

النموذج الكبير كان اللواء أشرف ريفي الذي خاض سعد الحريري أشرس معاركه مع ما يسمى «محور الممانعة» ليحجز له وزارة العدل التي كانت بالنسبة للحريري معركة مصير ونجح فيها ودخل اشرف ريفي الوزارة رغما عن الجميع، لكنه غادر الحريري عندما صدح بعبارته الشهيرة بأن الشعب هو من وزّره. هذا ليس بخطأ ارتكبه الريفي بل يفوق.. لكن الاخطاء التي ارتكبها هذا الرجل تتمثل وكما أورد بعض القارئين لسلوك الجنرال ريفي في:

خطأُه الأول أنّه تصرف على سجّيته دون الإلتزام بقرارات قيادة المستقبل، إن كان في موضوع الاستقالة من منصبه كوزير للعدل، أو في الموقف من ترشيح سليمان فرنجية. وهذا لا يعني بأي شكل من الأشكال أنه لا يحق للّواء ريفي الاختلاف مع قيادة تيار المستقبل على رؤيةٍ أو توجّهٍ ما، هذا حقّه. لكن الذي لا يحق للريفي فعله هو التمرد على قرار اتّخذته قيادة المستقبل المتمثلة بسعد الحريري مهما عارضه. فأشرف الريفي دخل على عالم السياسة من خلال بوابة تيار المستقل. الرئيس الحريري – لا الشعب– رشّحه لتبوء منصب وزاري. وإنْ كانت تلك التسمية هي نتيجة لمواصفات يتمتع بها اللّواء أقنعت الحريري بتوزيره، إلا أنه بمجرد قبوله تسميته من قبل تلك القيادة فهو أصبح ملزماً أخلاقيًا بقراراتها، حتى لو لم يكن منضويا رسميًا في تيارها.

أما الخطأ الثاني فيكمن في تصديق اللواء ريفي للشائعات التي تلاحق سعد الحريري منذ ولوجه عالم

السياسة. فثمّة ما يشي في كلامه أن الحريري انتهى، ومردّ هذا الاستنتاج يعود أساساً إلى أحاديث بعض الصالونات التي تحدثت وتتحدث عن تدهور علاقاته بحكام المملكة العربية السعودية، وتردّي أوضاعه المادية. قد يكون هذا التسرّع في الاستنتاج من قبل اللواء ريفي وكثُرّ غيره نتيجة قلّة خبرة سياسية أو نتيجة وشوشات مغرضة من جهات تراها مناسبة لإضعاف المستقبل. لكن في الواقع سيكون من الصعب لرجل انتهى سياسيًا أن يحظى بمقابلة الرئيس فرنسوا هولاند في الإليزيه أو الرئيس فلاديمير بوتين في الكرملين او رئيس اكبر دولة في العالم دونالد ترامب في البيت الابيض في تموز ٢٠١٧ من دون أن يكون لديه منصب رسمي.

أما بالنسبة لعلاقة الحريري مع المملكة والعائلة الحاكمة فهي عصيّة على الفهم للعديد من متابعينها، ولها من التعقيدات ما يجعل الإستناد على حركيتها لبناء موقف سياسي شيء يشبه السراب.

واما الخطأ الثالث فيكمن في الإيحاء أن اللواء الريفي يستطيع مواجهة حزب الله كما لا أحد غيره. وفي هذا الكثير من الشعبوية. فحزب الله ليس حزباً محلياً، بل هو جزء من منظومة عسكرية إقليمية ذات إمكانيات مخيفة. حزب الله موجود في اكثر من ساحة في العالم ويقاتل في أكثر من موقع. هذا لا يعني الاستسلام لمشيئته أو عدم الاعتراض على سياساته وأفعاله وتصاريحه، وعلى خطابات السيد حسن نصرالله التي تسيء لعلاقات لبنان

بالعرب كما بات واضحاً، لكن أيضاً لا يمكن خداع الرأي العام السنّي خاصة أنّه بالإمكان أكثر مما كان. حل معضلة حزب الله لن يأتي من طرابلس، إنما نتيجة اتفاق دولي أو حرب إقليمية.

ما سبق لا ينفي أبداً حق اللواء ريفي معارضة تيار المستقبل وانتقاد آداء الرئيس سعد الحريري، لكن ليكن نقده بالمستوى الذي يخدم الرئيس الحريري في هذه المرحلة الدقيقة لا العكس. فمحاولة كسر الحريري لا تفيد أحداً، لا السنّة "المضطهدين»، ولا المسيحيين «المستضعفين". وفي هذه الأثناء وحده حزب الله الجريح يرقص فرحاً[٥].

من على منصة هذه الاخطاء وغيرها، استمر ريفي عارضاً نفسه، كلواء في وجه الولي والولاية، الولي الفقيه وولاية الزعيم. وجاء فوزه القوي في الانتخابات البلدية الطرابلسية بوجه تحالف الحريري – ميقاتي ليوقد شعلة تمرده؛ لكنه التمرد الذي لم يقدم فيه ريفي سوى خطاب يقوم على ثلاثية ظنها ذهبية، وهي الثلاثية المشكلة من «لا لحزب الله وايران والنظام السوري»، و «لا لميشال عون رئيسا للجمهورية»، و»لا لإنبطاح سعد الحريري».

وان تحالفا غليظا تم بين ثنائية لاءات اللواء الثلاث واخطائه الاكثر من ثلاث، جعله يعقم التقدم في الخطاب، فترداد النفس والنفس في كل المناسبات والخطابات، قبل الانتخابات وفي ظلها، جعلت الناس تمل وتبتعد، فالكلمة التي استطونت في الالسن، تهندست بدورها في سؤال: هل من جديد عند اللواء؟

وبدأ التحضير للانتخابات، وبدأت الايام تعد نفسها، واللواء في مكانه، وحلفائه السعوديون اقصوا من مكانهم بنفس مضامين الانقلاب الذي مارسه هو على سعد الحريري، ولكأن محمد بن سلمان لم يفعل ما فعل مع محمد بن نايف او به عندما احاله من ملك موعود الى امير محجوز، الا ليقول لأشرف ريفي: تنحى جانبا.

لقد حصل في المملكة الامر الذي لم يتوقعه سيادة اللواء، فتبخرت القوة الموعودة وكثر الحديث بعد ذلك عن حملة انتخابية متواضعة يقودها اشرف ريفي بمال نجيب ميقاتي، الذي لا مانع له ان يستخدم كل الدنيا اذا انجزت له ما يريد، فكانت النتيجة الوحيدة تقول ان اشرف ريفي لم يفعل في فعلته سوى امر واحد وهو ضرب تيار رفيق الحريري في المكان والزمان الصعبين. هنا ناداه وليد بيك ليقول له : لمصلحة من؟ بعدما كان هو يسأل نفسه: إلى أين؟.

غير انني اعتقد اعتقادا قريبا من الجزم فحواه ان الذي قزم الحالة الاعتراضية الريفية هو نجيب ميقاتي نفسه، فإظهار الميقاتي لمعركة طرابلس كمعركة مصير او معركة «كسر عضم» ان صح التعبير ومده للوائح الاخرى في الدائرة بكل مقومات الصمود والنجاح وكأنها لوائح امتدادية، شكلت واقعا اظهر المعركة وكأنها بين فريقين كبيرين، فريق يتزعمه ميقاتي وفريق يتزعمه سعد الحريري. وان شدة التنافس بين الرجلين جعلت الناس تُستقطب باللاوعي نحو خيارين لا ثالث لهما، فكان الريفي

وغيره تفاصيل في اللعبة الكبرى.

ولأن جماهير اللواء ريفي هي جماهير افتراضية مسكونة أساسا بإيديولوجية الحريري والمستقبل وجدت ان مواجهة الميقاتي أشرف لها من ضياع صوتها الذي لم يدعمه الريفي أصلا بغير لاءاته الثلاث ومعزوفته الاحباطية، فلم يقدم البديل الذي يجعل شارعه يسير معه نحو النهاية.

وهذا الامر ربما لم ينتبه له اللواء ريفي او قد يكون انتبه، لكن امام جحفلة المال الذي لا يملكه او امام المد الحريري المتجدد، وجد الريفي انه أضحى في صفوف الاحتياط، لكن كل ذلك لا يمكن ان يعني سوى حقيقة ان الريفي منح حزب الله هدية مجانية لم يكن ليحلم بها رغم اتهام الحزب له بالداعشية حينا وبالتطرف أحياناً.

يعقب احد الفعاليات الشبابية في مدينة طرابلس على ظاهرة اللواء ريفي بالقول انه اي اشرف ريفي يملك خطابا سياسيا لكنه لا يملك مشروع بناء دولة، وانه حتى لو امتلك مشروع فمشروعه لا يخدم المصلحة السنية العليا، اذ كان على الريفي ان يعرف حجم المخاطر التي تمر بها الطائفة فيعمل على رص الصف. ثم ان ريفي ذهب في خطابه السياسي باتجاه واحد فصب بكليته في مهاجمة حزب الله وهذا لا يكفي، فالناس تحتاج الى خطاب اقتصادي انمائي الى جانب الخطاب السياسي، كما يقول الاستاذ صالح المقدم[٦].

الفصل الرابع:

سعد الحريري بين الخرزة الزرقاء والمخرز الاصفر

- **المبحث الاول: سعد الحريري بين القمة والنقمة**

بداية دعونا نتفق على ان الكلام عن المستقبل والحريرية السياسية وسعد الحريري، قد نعرف من أين يبدأ لكن بالتأكيد لا يمكن ان نعرف أين ينتهي.

ومما لا شك فيه اننا لسنا في هذه العجالة البحثية في خضم سبر غور كل المسيرة السياسية للتيار الازرق بدءاً من الراحل الاكبر رفيق الحريري وصولاً الى عهد سعد الحريري، فهي ميدان دراسة مستقلة سنعكف على انجازها في المرحلة القريبة المقبلة.

فالذي يهمنا الان هو انجاز القراءة السياسية لخوض تيار المستقبل الانتخابات النيابية، التي هي بالفعل فيها شيء من المفصلية بكل ابعادها، لا سيّما ذلك البعد المتعلق بالمستقبل السياسي للأزرق وزعيمه الشيخ سعد الحريري.

ان البدء بهذه القراءة السياسية يستلزم منا عرض مجموعة من الملاحظات التي لا بد من عرضها ليكون

البحث مستقيماً، وهي على الشكل التالي:

أولا- يخوض تيار المستقبل استحقاق ٢٠١٨ النيابي وهو في حالة فراغ من المال السياسي، وذلك لأسباب بات الكل يدركها بسبب ارتباطها بالعسر المالي لسعد الحريري ولفرملة سعودية واضحة يجهل الكثيرون خلفياتها رغم الحاجة السعودية الملحة لنتيجة محددة تراد من وراء هذه الانتخابات بدليل زيارة القائم بالاعمال السعودي لمنطقة بعلبك كما سبق واسلفنا في الفصول السابقة من الكتاب.

ثانيا- يخوض سعد الحريري الانتخابات بتيار متصدع من الداخل والخارج، ولا يخفى على أحد أسباب تصدعه. وياتي في رأس لائحة هذه الاسباب خروج اللواء أشرف ريفي من التيار وتأليفه تيار منافس بل مخاصم لتيار المستقبل وهو تيار «لبنان السيادة»، فكل المنضوين في تيار ريفي وكل مناصريه الافتراضيين هم في الاساس جزء لا يتجزأ من تيار الحريري.

ويندرج في مكامن التصدع بعض الابتزازات التي تعرض لها سعد الحريري ممن هم من ابناء الجلدة، ويكفي الاشارة دون طول سيرة الى ما فعله النائب كاظم الخير حينما خرج من نفسه ومن قناعاته فتبرأ من كل شيء ليذهب الى لائحة نجيب ميقاتي الذي رحب به أشد ترحيب فأزاح ابن عقل من لائحته ليحل محله كاظم الخير، حاملاً معه بضعة آلاف من الاصوات يحتاجها ميقاتي لرفع حاصله

الانتخابي، فسقط كاظم الخير في امتحان والولاء، وهو ما قالته له مذيعة محطة الجديد كاترين حنا في مقابلة مدفوعة الاجر اجرتها معه محطة الجديد.

ثالثا- الحملة الكبيرة التي شنت على زعيم التيار الازرق تحت شعار «الاحباط السني»، والتي سار في موكبها اشخاص لطالما صنفوا على انهم صقور في تيار المستقبل، وتم دعم هذه الحملة بجملة من سياسات ومواقف جاحظة اقدم عليها سعد الحريري، ابرزها القرار الكبير الذي اتخذه بالقبول بالجنرال ميشال عون رئيسا للجمهورية معطوفاً على معادلة سياسية جديدة مع حزب الله مخرجها ربط النزاع مع السلاح ومدخلها الاتفاق على العمل لانجاز استحقاقات الوضع اللبناني ومتطلباته.

في ظل هذه المعضلات الثلاث بدأ الرئيس سعد الحريري التحضير للانتخابات النيابية، من اجراء المشاورات المكوكية على مختلف الاصعدة الى اختيار الاسماء ونسج التحالفات ووضع اللمسات الاخيرة على حسم اشخاص اللوائح.

ولأجل انجاز كل هذه العمليات، كان واضحاً ان سعد الحريري وفريقه الخاص، لا تيار المستقبل ولا الهياكل الادارية والسياسية في تيار المستقبل، هم من انجز كل شيء.

ولقد شكل هذا الاستحقاق بالنسبة لسعد الحريري تحدياً كبيراً في ظل الظروف الكبيرة والتي لا يحسد عليها والتي كنا قد قدمنا لها اعلاه.

انتخابياً وتحالفياً، اصطف الكل ضد سعد الحريري، كل التيارات السنية والقوى الفاعلة على الساحة السنية، من نجيب ميقاتي وفيصل كرامي واشرف ريفي في طرابلس، وجهاد الصمد في الضنية، والجماعة الاسلامية في عكار وغير عكار، والمشاريع ومخزومي في بيروت حيث جيّش الثنائي الشيعي بقوة لخرق الحريري في عقر داره، وفي صيدا شكل اسامة سعد مصدر قوة وحجة للفرقاء الذين يريدون تقزيم الحالة الحريرية، اما في البقاع فكان رأس الجسر هو عبد الرحيم مراد.

وقد شكل القانون النسبي الحليف الاقوى لكل هؤلاء وكل في مربعه المناطقي.

امام هذا التطويق كان على سعد الحريري وفريقه انجاز قراءة متأنية وهادئة لبلورة اوراق قوة تعوض الفرق وتغطيه، فهل نجح سعد الحريري في ذلك؟

ادرك سعد الحريري منذ البداية انه امام تحد كبير تتطلب مواجهته والوقوف له اسلحة تتناسب مع شدة المعركة. لكن من أين له تعويض شح المال؟ ومن اين له ازالة الاحباط الذي وصل لذروته بعدما وضع بيديه تاج

الرئاسة للجنرال؟ ومن اين له اسكات جحافل الطامعين بمقعد هنا ومقعد هناك من كوادر تياره الذين لن يوفروا أداة ليّ ذراع الا ويستخدمونها ؟ ومن أين له اقناع جمهوره العريض بجدوى التشارك مع حزب الله في حكم لبنان؟ ومن أين له الركون للمطالب السعودية الملحة بالاتخاذ من السنة منصة صواريخ سياسية ضد حزب الله وسلاحه؟ ومن اين له اقناع الجمهور اللبناني بمستقبل اقتصادي واعد للبنان؟ ومن أين ..

واذا ما جمعنا كل هذه التساؤلات الكبيرة في معادلات انشائية لتوصلنا الى القول ان لسعد الحريري مجموعة من المشاكل والاشكاليات، فالاولى هي مع شخصيات حساسة في تياره، والثانية هي مع جماهير واسعة من طائفته، والثالثة هي مع مشروع دولي اقليمي كبير يريد محاصرة حزب الله. فهل تنبه سعد الحريري الى كل ذلك؟

يستخلص من البرنامج الذي قاد فيه سعد الحريري تحديه الانتخابي انه كان مدركا ادراكاً تاما لكل المشاكل والمعوقات الكبرى التي قد تشكل صخور عثرة بوجه النجاح الذي يريد او يتمنى.

فعلى صعيد التمردات الداخلية التي حصلت داخل تياره، والتي اثرت سلبا على القوة الانتخابية لتيار المستقبل، عمل سعد الحريري وفريق عمله الضيق على تعويض ذلك باستقطاب شخصيات بديلة ولو من دوائر مختلفة، فبعض

هذه الشخصيات كانت في الاصل جزءاً من كتلة المستقبل كالنائب السابق خالد الضاهر الذي نجح الحريري في سحبه من اشرف ريفي، وبعضها الاخر كان في المقلب الاخر من المعادلة فتم استقطابه مع اصواته، اذ نجح الحريري في تسجيل وليد البعريني ذات الحيثية الكبيرة في عكار على لائحة المستقبل في عكار، ووليد هو على سبيل المثال لا الحصر.

اما على صعيد تشييع حالة الاحباط السني، فعمل الحريري على مواجهتها وفق استراتيجية خير سبيل للدفاع هو الهجوم، فلم يدوّر سعد الحريري الزوايا في مسألة إيصاله لزعيم التيار الوطني الحر الى رئاسة الجمهورية، كما انه لم يحاول الهروب من هذا الامر، فعلى العكس تماما، نجده يرفع صوته عند تناوله هذه المقاربة، واضعا اياها في اطار ما اسماه اعادة التوازن وتحمل المسؤولية الوطنية، ولم يكتف بذلك، حيث نجده قد كرس منطقه في هذا الموضوع بالتحالف مع التيار الوطني الحر في العديد من الدوائر، أما في دائرة البترون، فكان صوت سعد الحريري عاليا عندما وجه علناً مناصريه في هذا القضاء الى منح الصوت التفضيلي للوزير جبران باسيل.

وفيما يتعلق بعلاقة المستقبل مع حزب الله والتي اخذ منها كثيرون مناسبة لشيطنة الحريرية السياسية واتهام سعد الحريري شخصيا بالارتماء في حضن حزب الله، فاستعان

سعد الحريري في مواجهة هذه المسألة بأكثر من مقاربة.

اما المقاربة الاولى فتمثلت باستعادة الحريري خطابه القديم المنطلق من ضرورة حماية لبنان ونأيه عن صراعات المنطقة معطوفة على طرح مفهوم هوية لبنان حيث وجدناه يكثر من كلمة «العروبة»، غامزاً بذلك من مخاطر فرسنة لبنان التي يتهم بها حزب الله على نطاق واسع اسلامياً ومسيحياً، متخذاً من حملته الانتخابية في بيروت مناسبة ليتحدث عن هوية بيروت، مخيّرا البيارتة بين الهوية الحقيقية لبيروت وهوية اخرى يخطط اخرون لصقها بها. وقد توج كل ذلك بقدرته على فرض معركة في بعلبك الهرمل بوجه لائحة حزب الله الذي تحسس حجم التحدي على اعتبار ان هذه الدائرة ينتخب فيها اكثر من ثمانين الف صوتا موزعين مناصفة بين المسلمين السنة والمسيحيين.

ورغم فعالية كل عناصر القوة التي لجأ اليها سعد الحريري، الا ان عنصر القوة الافعل والاقوى والاكبر تمثل بشخصيته هو، شخصية سعد الحريري، التي احدثت لوحدها اكثر من نصف الفرق، فسعد الحريري تجاوز رفيق الحريري في سحر الشخصية، اذ رغم المخاطر التي تحوم حوله، قرر المغامرة والنزول الى الشارع، فزار كل مناطق نفوذه وقوته، من الشمال الى الجنوب، مروراً ببيروت ووصولاً الى اعالي البقاع وأوسطه. نعم لقد فعلت

شخصيته المحببة فعلها في شد العصب وجذب الجماهير.

وهو اذ ادرك ان قطعاً للحساب يجب ان يحدث بينه وبين رفيق الحريري الذي عشقه الشارع السني فتبناه ومنحه الوكالة الحصرية، نجده يقرر فعلا هذا القطع، عندما يتوجه الى جماهيره ليقول لها «انا سعد الحريري»، بعدما ظل حتى انتخابات ٢٠٠٩، يقول «كان رفيق الحريري».

أثبتت مجريات الحملات الانتخابية ان سعد الحريري هو كل تيار المستقبل السياسي والانتخابي والجماهيري، رغم تواضع سعد الحريري المقصود، بتشديده على استخدام كلمة «المستقبل»، لكن الحقيقة الاسطع من الشمس اصرت على القول ان المستقبل وهم ليس إلا، وان سعد الحريري هو الحقيقة. وحتى سعد الحريري كان مقتنعاً بقرارة نفسه هذه الحقيقة، وذلك عندما بدأ يتحدث عن «الحريرية السياسية»، فالحريرية السياسية شيء وتيار المستقبل شيء اخر.

تيار المستقبل هو خيال، فلو كان واقعا، لما كان سعد الحريري مضطراً لمسك يد مرشحيه واحداً واحداً وفي مناطقهم بل وقراهم ومدنهم وأزقتهم حتى، ليسوقهم لجماهير عريضة لا ترى في عينها سوى سعد الحريري، ولا تتقبل مرشحي الازرق الا اكراماً لسعد الحريري، لذلك كان الحريري وفي كل خطاب يتوجه فيه لأبناء منطقة يقول ان كل واحداً من اللائحة هو سعد الحريري.

لكن كل جهود سعد الحريري يمكن ان تذهب هدراً، ويمكن ان تعصف الامواج والرياح بكل مراداته الانتخابية وبالتالي السياسية، عندما ندرك ان المستقبل وزعيمه لم يوجهوا خطاباً سياسياً واحداً للجماهير المناصرة والمنتظرة.

أين الخطاب السياسي، لا بل أين القضية السياسية التي يمكن ان تجمع وتشد وتستقطب؟

أين مستشارو سعد الحريري؟ لماذا لم ينبهوه الى الفراغ الخطابي؟ ولماذا سننتخب لوائح المستقبل؟ وماذا قدم المستقبل للناس؟ تلك هي الاسئلة التي نبتت على ألسنة الجمهور الذي لطالما احب رفيق الحريري وأورث حبه رضاءاً لا عنوة لسعد الحريري.

وفي المقارنة، كان رفيق الحريري يطرح يومياً ألف قضية سياسية، لكن سعد الحريري يطرح يومياً ألف شعار سياسي.

قد يقول قائل وهو محق بقوله: على العكس تماما، فسعد الحريري طرح اكثر من قضية سياسية من شأنها استقطاب الحشود. فتحييد لبنان وربط النزاع مع حزب الله هو قضية، ومشروع بناء الدولة على مداميك الامن والاستقرار هو قضية، وعقد المؤتمرات الدولية والاقليمية لنجدة لبنان ماليا واقتصاديا هو قضية، وجر السنّة نحو الاعتدال لمنعهم من الانزلاق إلى براثن التطرف من

النصرة الى داعش هو قضية، والتنازل مقابل رفع اسم الوطن هو قضية.

قد تكون كل هذه المسائل قضايا عند سعد الحريري وفريقه الاستشاري، لكن أيّاً منها ليس بقضية عند الشارع السني. وان ذلك لا يعني ابدا انه غير معني بهذه المسائل بقدر ما يعني ان لهذا الشارع قضاياه الخاصة ذات الخصوصية والمفردات المنبثقة من واقع أليم يعيشه سنة لبنان.

كل الشركاء في الوطن شكلوا باقات قضاياهم الا المستقبل والحريري، وهل من داع لإعادة التذكير بها وعرضها؟

ألم يقل نصر الله انه مستعد لزيارة كل بيت في بعلبك الهرمل من أجل المقاومة؟

وألم يقم باسيل بربط حزام الطائفية ليدور به مسيحيا أينما حل، جبلاً وساحلاً وداخلاً ودخيلاً، لدرجة بتنا ننتظر معها فك كل ارتباط وتفاهم معه من قبل حلفائه قبل خصومه، وسيشد الحزام اكثر بعد الانتصار ليقول انه وتياره وتكتله لم يتخذوا القرار بعد بتسمية نبيه بري رئيسا للمجلس النيابي؟

حتى نجيب ميقاتي.. خلق قضية، تمثلت ببقاء قرار طرابلس في طرابلس وليس في بيروت او صيدا، وحتى

محمد الجسر خلع عباءة اللطف والظرافة لنجده صقراً طرابلسياً يريد ان ينهي الحريرية على أسوار طرابلس وكان يمكن ان ينجح لولا ادارة ميقاتي ظهره له فنجيب ميقاتي سيأخذ منه ولن يعطيه.

بالتأكيد لم يكن هم الطرابلسيين عودة طرابلس الى طرابلس ولا انهاء الحريرية عند اسوار طرابلس فالحريري ليس بجنكيزخان كما صوره محمد الجسر. لكن لطرابلس كما بيروت همومها التي يمكن التعبير عنها بالف قضية سياسية.

اعرف ان كل قارئ لهذه الاسطر لا ينتظر منا عرض القضايا السياسية التي كان على سعد الحريري امتشاقها والبوح بها علنا. لأن قضايا الشارع السني والطائفة واضحة وصريحة ولا تحتاج لا للعرض ولا للتحليل.

واعتقد جازما بأن بند الانماء لا يحتل الطليعة في لائحة القضايا على اهميته، فهاجس السنّة مختلف، ومطالبهم الساكنة في حنجرتهم وتتريث في الخروج معروفة، وسعد الحريري يعرفها جيدا، لكنه تفاوض معها ظاناً ان السنّة يفهمونه، وهم بالغالب والغالبية يفهمونه لكن دلوهم فاض وطفح.

دعونا نبرمج المسألة قليلا كي لا نكون في خانة المنظرين، ودعونا نحدد الامور اكثر.

ففي الحقيقة والواقع، كان يمكن للسقف السياسي المرتبط بالشعارات السياسية والذي شارفه سعد الحريري ان يكون كافيا، لكن الذي خفض وزنه وجعله ملامساً للأرض هو علو السقف الذي وضعه خصوم الحريري وشركاؤه، خصوصا السيد نصر الله وجبران باسيل، فالاول وضع اي معركة بوجه حزب الله في اطار النزال مع داعش والنصرة، واستخدم المقاومة شعاراً وفعلاً انتخابيين، والثاني اي باسيل كان اكثر من طائفيا.

ان خطابي نصر الله وباسيل الانتخابيين غطا على اي كلام في السياسة وما بعد السياسة، واغتالا كل على طريقته اي خطاب معتدل يلامس العقل في دولة لا تحتمل ارضها بقايا ألغام اسرائيلية تبتر ساقاً هنا او تفقأ عيناً هناك.

لطالما طرح الحريري نفسه كمخلص مثل والده رفيق الحريري، وعلى الشركاء في الوطن ان يلاقوه في منتصف الطريق، لكن احداً منهم لم يفعل، فسياسة الارض المحروقة طائفياً ومذهبياً وقومياً ان شئت كانت لها الكلمة الفصل.

وكان غالب الظن عند سعد الحريري يشي بأن اللبنانيين ومن كل الطوائف والمذاهب والمشارب سيرفعون له القبعة، سيما انه انجز لهم عشية الانتخابات مؤتمراً اقتصادياً يذكّر بما كان يفعله الشهيد رفيق الحريري والذي يظن كثيرون ويعتقد ان الشهيد استشهد لأنه كان يقارع الطائفية

والبغضاء بالتطوير والانماء، لكن احداً لم يرفع له القبعة، واستبدلها بالالغاء.

أخطأ سعد الحريري مرة اخرى، فكان عليه ان يدرك ان المثالية مغتالة في لبنان ولا خبز لها فيه، وكان بإمكانه ان يكون مثلهم دون ان يكون مثلهم.

نعم أخطأ، فبائع الخضار على عربة على ضفاف نهر ابو علي كان يريد من سعد الحريري ان يكون أبو علي، وتاجر الالبسة في أسواق طرابلس الداخلية كان ينتظر ان يسمع من الحريري خطاب التاجر الذي يبيع ويشتري، فللسنة حصتهم الكبرى من كعكة الوطن، لكن الاخرين اقتسموها وبقي للسنّة الفتات.

وفي المنية حيث المرجلة تحتل المرتبة الاولى في سلم التقييم الاجتماعي والشعبي، لم يكن اهلها ينتظرون من سعد الحريري التبرير لتفضيله عثمان علم الدين على كاظم الخير، بل كانوا ينتظرون «خبطة رجل» على الارض والقول «لقد قررت ترشيح فلان وانا اعلم بمصلحة المنية»، بدل زيارات احمد الحريري غير المدروسة والتي طرح نفسه فيها «تشي غيفارا».

اما في الضنية حيث تسونامي المرشح الناجح قبل بدء الانتخابات جهاد الصمد، فكان على سعد الحريري كما ردد مئات من ابناء الضنية ترك مقعداً شاغراً له ودعمه

بخطاب سياسي رفيع يقول فيه «ان جهاد الصمد واحد منا فلن نواجهه»، وليس الجهر بنية اسقاطه، فسقط المستقبل وكان جهاد «لوحدو أدن كلن».

نعم، هذا ما يقوله علم الاجتماع السياسي، وهذا ما يدخل في تفاصيله علم الاجتماع الانتخابي، وهذا الذي لم يفعل سعد الحريري منه شيء.

لم يخبط سعد الحريري رجله في الارض هنا ولم يحتوي جهاد الصمد هناك ولم يرفع السقف اكثر في صيدا، ولم يقل للبيارتة ما كان يجب ان يقوله، فالكل يعرف ان هوية بيروت عربية، والكل يعرف ان وضعها الجغرافي والديمغرافي في أزمة، فرشح لها اناساً كان البيارتة ينتظرون اخرين بدل عنهم.

بإختصار، كان خطاب سعد الحريري الانتخابي دفاعي اكثر منه هجومي، ومن هنا تبدأ الحكاية، اما النهاية فنلتقي معكم فيها في نتائج الانتخابات.

وقبل ان ننتقل الى المبحث الاخر، دعونا نتفق معاً انه من بين كل التيارات والشخصيات السنية التي خاضت غمار الانتخابات، لم يقدم احد منها برنامجاً انتخابيا حقيقيا، لكن لفتتني لافتة انتخابية تعود للمرشح الدكتور محمد سلهب تنادي بخلق صندوق للشمال من اجل انماء متوازن.

- **المبحث الثاني: السنّة بين أحادية زرقاء وتعددية صفراء**

في إطار الاستعدادات للإنتخابات النيابية وفي سياق الاجواء والمناخات التي سادت معها، كثر الحديث السياسي والشعبي ولو بدرجة أقل حول فكرة ثنائيات او ثلاثيات سياسية سنيّة، بدل الاحادية السنية المتمثلة بتيار المستقبل وزعامة آل الحريري.

وفي واقع الامر، لم تكن كل النداءات والترويجات للثنائية السنية وغيرها بريئة، فإذا كان البعض يطرحها من باب التعددية الخلاقة، فالبعض الاخرعمد على تسويقها من باب شرعنة تمثيل سياسي من باب السنيّة السياسية بقصد تحقيق غايات ومقاصد واهداف ومآرب لا تصب بالضرورة في الصالح السني العام.

وأياً ما كانت النية في الطروحات، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ان كسر الاحادية السنية واستبدالها بثنائية او ثلاثية او رباعية يصب في المصلحة العليا للسُنّة في الجمهورية اللبنانية؟

يعتقد كثيرون في لبنان وخصوصا داخل الطائفة السنيّة ان التعددية داخل الطائفة الواحدة أمر ضروري لا بل ملحّ، لما فيه من تقويم للإعوجاج السياسي ان حدث من هذا الطرف او ذاك، فالتنوع في السلطة والقرار وعدم

حصرهما لدى جهة واحدة او تيار او حزب واحد، يشكل ضرورة وطنية لا بد منها.

وان ما يطبق على صعيد النظام في الدولة يجد اسقاطه ومفرداته ويصلح للتطبيق على صعيد الطائفة عندما يكون نظام الدولة اساسا نظاما طائفياً ومذهبياً.

ووفق هذا المنطق، يقارن كثيرون بين دول الحزب الواحد او الممسوكة جبهوياً من طرف واحد يقود اللعبة ويحدد قواعدها وبين دول التعددية السياسية حيث المنافسة على أشدها تكون بين التيارات والاحزاب، وهو الامر الذي ينعكس ايجاباً فيترك الخيار للمواطن الذي يختار بكل ارادته هذا الحزب او ذاك.

ووفق هذا المنطق او المنطلق، فإن دول الحزب الواحد تذهب بإتجاه الشمولية والتوتاليتارية والدكتاتورية والتسلط، فيكون المواطن بل الشعب ضحية انانية نظام مستبد، في حين ان دول التعددية السياسية، نجد ان عبق الديمقراطية يفوح في ارجائها، وينعم الشعب بحياة سياسية تحرضه أكثر وأكثر نحو المشاركة السياسية، ليقينه بأنه قادر مع آخرين على تقرير مصير الوطن، من خلال التصويت في انتخابات دورية، غايتها التجديد للبيعة او المحاسبة فيحل الحزب المعارض ديمقراطياً محل الحزب الخاسر والذي كان ممسكاً بتلابيب الحكم والسلطة.

عطفاً، عن ان دولة الحزب الواحد او الراي الواحد، تكون نهايتها، لا شك، شبيهة بنهاية دول الربيع العربي، حيث الثورة تأكل الاخضر واليابس، عكس الدولة الديمقراطية التي تذهب بإتجاه التقدم والتطور في شتى المجالات والقطاعات.

ومما لا شك فيه ان التعددية داخل الطائفة السنية في لبنان أمر جيد ومطلوب وايجابي، ولكن الامر ليس على بساطته، كما ان الامر يستوجب دراسة الحالة اللبنانية، لجهة التحديات والانتماءات وخارطة توزيع القوة على الصعيد الوطني، والاهم دراسة توزيع القوة داخل كل طائفة، وبالتالي معرفة نمطية هذا التوزيع بإنعكاساته على المتانة السياسية للطائفة، ان صح التعبير، ومدى محورية الطائفة وفق قواعد اللعبة على الصعيد الوطني.

دعونا نبدأ شيعياً، فكما هو معروف ولا يختلف عليه اثنان هو ان النسق السياسي الشيعي تتوزعه قوتان كبيرتان وهما حركة امل وحزب الله، وهو ما يسمى بالثنائية الشيعية، وهي الثنائية التي تسير العلاقة في داخلها سيرورة زئبقية، ممنوع فيها الغلط والخطأ، وان كلا الحزبين، أمل وحزب الله، يعرف جيداً، ماهية العلاقة ومقدارها وضرورة عدم تجاوز طرف للآخر فيها.

ودوماً يتحدث قادة الحزب والحركة عن التحالف السياسي والاستراتيجي بينهما، وان انتخابات ٢٠١٨

النيابية قد كرست اكثر هذا التحالف، عندما تقاسم الاثنان المقاعد الشيعية رغم خسارتهما معا المقعد الشيعي في جبيل بحبكة عبقرية من جبران باسيل شكلت صفعة كبرى لهما، رغم ان الفائز مصطفى الحسيني لا يتبع للائحة التيار الوطني الحر وانما لتحالف الشيخ الفائز فريد هيكل الخازن.

اذن هناك تحالف قوي بين الثنائي الشيعي، وهو تحالف مطلق في كل الملفات والقضايا السياسية اللبنانية ونسبي في القضايا غير اللبنانية، فمقاربة الرئيس نبيه بري للوضع في سوريا تختلف كثيرا عن مقاربة حزب الله لها.

لكن لنتخيل، ان حركة امل تملك سياسة او تصور اخر لسياسات حزب الله، خاصة في العناوين والملفات الكبرى التي يعمل عليها حزب الله، فكيف ستكون النتيجة، فماذا لو واجه نبيه بري حزب الله وطعن بكل سلوكياته ووصل الامر به الى نزع سلاح الحزب، كيف سيكون مصير الطائفة الشيعية بأكملها؟

وبذلك فإن اكبر نعمة يعيشها حزب الله هي ان أمل زوجته الشرعية او على الاقل ليست بضرة على الزوجة الاولى. وبالطبع لا يمكننا قراءة الصورة بصورة معكوسة، وذلك لأن صاحب البرنامج الاقليمي والذي يتجاوز لبنان هو حزب الله وليس حركة أمل.

لماذا نطرح هذا السؤال؟ نطرحه لأن وضع الطائفة السنية هو على هذه الحال، وسيكون اكثر على هذه الحال، عندما نعرف ان حلفاء حزب الله من السنّة سيفوزون مع القانون النسبي.

وعلى الصعيد المسيحي، فالمشهد التمثيلي وبغض النظر عن نتائج الانتخابات، يقول بأنه رغم التعددية المسيحية، الا ان هناك ثنائية مسيحية، ممثلة بالتيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية، وهي الثنائية التي ستكرسها نتائج الانتخابات أكثر، لكنها الثنائية المختلفة جدا عن الثنائية الشيعية، فهي ثنائية تمثيل ولكنها لم ولن تكون ثنائية متحالفة، نظرا لإختلاف المشروعين، فمشروع جبران باسيل لا يقوم الا على انقاض مشروع سمير جعجع، والعكس صحيح ايضا. لا بل يسود اعتقاد ان مجريات التحالفات والنتائج التي ستحدثها، ستؤدي الى شرخ مسيحي كبير، سيحصد المسيحيون زرعه في السنوات المقبلة. لا بل ان الجماهير المسيحية تجد ان المخرج الوحيد لها يتمثل بالتقارب الكبير بين القطبين، فعبارة التشرذم المسيحي لطالما شكلت لعنة وعقدة عند المسيحيين، وليس سراً ان مشروع المسيحيين اليوم هو وطني بإمتياز، عكس المشروع الاسلامي، بشقيه الشيعي والسني، والذي هو مشروع بإمتدادات اقليمية.

وان ما تقدم مسيحياً، يعني او يفسر الشعار الانتخابي

للتيار الوطني الحر «لبنان القوي»[1]، فهو يعني أولا وقبل كل شيء «لبنان يكون فيه المسيحيون أقوياء»، وهو ما يعني ايضا انه اعتراف اكثر من واضح بأن المسيحيين اليوم ضعفاء لكن يسعى التيار لأن يجعلهم أقوياء. ماذا يعني كل ذلك؟

من باب المقارنة بين الشيعية السياسية والمسيحية السياسية، يتبين لنا ان الشيعية السياسية قوية، لأنها أولاً ثنائية متراصة ومتحدة ومتفاهمة، ولأنها ثانياً تحمل لبنانياً مشروعاً واحداً، وهو لبنان الذي يكون فيه الشيعة هم الاقوى.

أما المسيحية السياسية، فهي ضعيفة لأنها تقوم على ثنائية متضادة وغير متفاهمة وغير متحدة، سيّما بعد التفاهم الكبير بين حزب الله والتيار الوطني الحر.

وعلى الصعيد الدرزي، فما عرضناه على الصعيدين المسيحي والشيعي يصدق ويردد. فوليد جنبلاط يشكل اكثر من ثلاثة ارباع الدروز، وقوة الامير طلال أرسلان مستمدة من مساحة محدودة ومحددة يتركها جنبلاط لأرسلان ولا يريد الغاءه او حذفه من المعادلة الدرزية والوطنية. وهذه الوحدة الدرزية هي مصدر القوة الابرز عند الدروز.

لذلك يسعى حزب الله ويجهد الى كسر الاحادية الدرزية الجنبلاطية، وما ظاهرة وئام وهاب الا تعبيراً عن رغبة

الحزب في تعويم خيار درزي يستقطب تراكمياً من جيب زعيم التقدمي الاشتراكي.

ونصل الى المربع السني، لنتساءل مع العديد من السائلين: كيف يمكن ان تكون شاكلة الثنائية السنية او التعددية السنية التي يتم التنظير لها من قبل اكثر من حدب وصوب؟

لو اجرينا قراءة سريعة لواقع توزيع القوى السنيةً، لما احتجنا الى كثير من الجهد لنكتشف ان السنة موزعون بين فريقين اثنين لا ثالث لهما، وذلك بغض النظر عن حجم وقوة كل فريق السياسية.

أما الفريق الاول فيتألف بشكل رئيس ان لم نقل حصري من الحريرية السياسية والتي تشكل سنياً حتى عشية الانتخابات اكثر من ثمانين بالمئة من حجم التمثيل السني شعبيا.

وأما الفريق الثاني فيتألف من بعض النواب الذين ينجحون اما بالصوت الشيعي كما في بعلبك الهرمل والجنوب او بالصوت الدرزي المتحالف مع السني كما في الشوف عندما نتحدث عن اقليم الخروب، فضلا عن بعض الشخصيات والتيارات التي تطمح الى الوصول الى قبة البرلمان.

وعندما يجري الحديث عن تعددية سنية، فالمقصود

به قضم جزء لا يستهان به من الحريرية السياسية، ليضاف الى تكتل سياسي يدخل حصراً في رصيد حزب الله، خصوصا ان الشخصيات والاحزاب السنية المرشحة للانتخابات ولانجاز التعددية المزعومة، هي، وباستثناء نجيب ميقاتي ونوابه، تابعة علناً وصراحة وكلياً لا جزئياً للمشروع السياسي لحزب الله رغم انها تخفي ذلك في زمن الانتخابات وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في الفصول السابقة من بحثنا هذا.

يبدو واضحا اذن، ان المسألة لا تتعلق بثنائية او تعددية سنية بقدر ما تتعلق بتوسعة دائرة حزب الله السنية على حساب دائرة الاغلبية السنية.

بمعنى آخر، ليس هناك من مشروع ثالث يمكن ان تنضوي تحته او في ظله السنية السياسية المناهضة للحريرية السياسية، خصوصا ان الاشخاص والتيارات التي يشار اليها كنواة لتكتل سني معارض للمستقبل وللزعامة الحريرية، من جهة لا يملك مشروعاً سياسياً حقيقياً وخاصاً به، ومن جهة ثانية لا يجمع اعضاؤه فكرة سياسية سوى فكرة التبعية لحزب الله ومشروعه. وهنا المقتل الكبير لأي مناداة بالثنائية او التعددية داخل الطائفة النسية.

وان هذا التحليل لا يفنده على الاطلاق الرد القائل بأن الحريرية السياسية انبطاحية او جلابة للاحباط واليأس عند عموم الشارع السني، فعقدة الكلام ليست هنا، وانما

في مكان اخر يرنو إليه الحالمون بكسر الطائفة السنية بأكلمها.

ابحث دوما عن حزب الله ومشروعه عند أي مقاربة للوضع السني او المسيحي او الدرزي، وعندما تبدأ بالبحث فعليك ان تتقمص الموضوعية والموضوعية فقط لا غير.

وان الموضوعية هذه تقتضي أول ما تقتضي، القول بأن مصلحة حزب الله الاستراتيجية تجهر بأن سعد الحريري وفقط سعد الحريري هو من سيشكل أي حكومة ما بعد الانتخابات، فبالطبع حزب الله لا يريد عكس او غير ذلك، ففي حسابات حزب الله ومشروعه يفكر الحزب بالطريقة التالية:

«سنتي في جيبي الصغرى، بعضهم دعمته مالياً وخدماتياً واعلامياً عندما شرعت لهم ابواب مؤسسات الدولة، وبعضهم نجح بأصواتي، وطالما الامر كذلك فهم مدينين لي ولن يتجرؤوا على الخروج من بيت الطاعة.

وعندما اوافق على زعيم الاغلبية السنية سعد الحريري كرئيس للحكومة بعدما يكون قد خرج ضعيفاً من الانتخابات بكتلة نيابية لا تتجاوز العشرين نائباً بين سني ومسيحي، أكون بذلك امتلكت كل عناصر القوة السنية».

وعندما يحصل حزب الله على ذلك، يصبح خطابه السني أقوى وأمتن، وتصبح شروطه التي سيضعها على

حكومة سعد الحريري معززة اكثر واكثر.

اذن نعود ونطرح السؤال التالي: هل الثنائية او التعددية السنية ضرورية؟ وما الفائدة منها على الشارع السني، في قواعد لعبة كتلك التي هي في لبنان؟

بقي في خانة هذا الموضوع مقاربة واحدة لتكتمل عناصر معالجة التعددية السياسية السنية، وتتمثل هذه المقاربة في رأي عريض يقول بأن التعددية السنية، ضرورية لأنها تدفع الحريرية السياسية الى التوغل اكثر في خدمة الطائفة السنية، اذ تخاف من الخسران عندما تتلكأ فيذهب التأييد الى الضفة السنية الاخرى.

وان مثل هكذا مقاربة هي صحيحة وفعالة، لكن في ظروف لبنانية مختلفة وفي معادلات اقليمية ومشاريع اقليمية مختلفة ايضا.

وان الرد على هذا الدلو يكون بالقول بأنه نسي ان الضفة السنية الاخرى مربوطة في اسفل شجرة حزب الله.

الخاتمة

حصلت الانتخابات، ولم تتجاوز نتائجها سقف التوقعات، بإستثناء البعض منها، خصوصا على صعيد الكتلة السنية – الحريرية.

فعلى الصعيد الشيعي، تكرس التحالف الشيعي المشكّل من حركة أمل وحزب الله كممثل أوحد للشيعة في لبنان بكل محافظاته ومدنه وقراه وحيثما وجدت جماهير تدين بالمذهب الشيعي، ولم تستطع أية قوة شيعية ثالثة الاقتراب من هذا التحالف فبدت الثنائية الشيعية كقوة مطلقة داخل الطائفة الشيعية.

وعلى الصعيد المسيحي، خرج التيار الوطني الحر أكثر قوة من السابق، حيث حصد التكتل وحلفاؤه تسعاً وعشرين مقعداً نيابياً، وبدوره انجز حزب القوات اللبنانية قفزته النوعية، اذ ضاعف عدد نوابه في المجلس ليصل عددهم الى ستة عشر بعدما كانوا في انتخابات ٢٠٠٩ ثمانية نواب فقط.

وبذلك تكون القوة التمثيلية الكبرى مسيحياً مشكلة من الثنائي اللدود التيار والقوات، بإعتبار انهما حصدا خمساً واربعين مقعداً مسيحياً من أصل اربع وستين، وهو ما يعني انهما يشكلان معا اكثر من سبعين في المئة من عدد النواب المسيحيين في المجلس النيابي.

وكان هذا المكسب الكبير للتيار والقوات على حساب حزب الكتائب وقوى مسيحية أخرى، فكتائب سامي الجميل مثلا انخفض تمثيلها في المجلس من ستة نواب الى ثلاثة، واتصالات بطرس حرب أحالته من عضو الى صفر.

وفي المقلب الدرزي بقي وليد جنبلاط متربعاً على عرش الزعامة الدرزية، حيث استطاع حصد كل المقاعد الدرزية في المجلس باستثناء مقعدين الاول في الجنوب وحجزه انور الخليل لنفسه، والثاني للمير طلال أرسلان الذي حجزه وليد جنبلاط له.

اما على الصعيد السني، فكانت النتيجة ضعيفة رغم توقعها، لأسباب كثيرة قد خضنا بأدق تفاصيلها في فصول الكتاب.

وفي حسابات الخسارة السنية، ليس مهما الانطلاق من انخفاض عدد كتلة المستقبل من اكثر من ثلاثين نائباً لتصبح في انتخابات ٢٠١٨ عشرين فقط، فالمهم هو ان الخسارة تمثلت او تجسدت بشكل صارخ في مقاعد سنية مهمة سواء في بيروت حيث خسر سعد الحريري نائبين سنيين من أصل ستة، او في طرابلس والشمال، حيث كانت الخسارة بثلاث نواب سنة من أصل ثمانية، وخسارة ستة نواب في الدائرة التي يبلغ عدد مقاعدها احد عشر، اذ لم يربح المستقبل سوى بخمس مقاعد وان كانت كلها سنية.

وفي البقاع الغربي تقزمت الحريرية السياسية، كما في

صيدا مسقط رأس سعد الحريري، فلولا السيدة بهية الحريري لخسر المستقبل نائبي صيدا، فكانت شعبية البهية منقذا.

وعلى أية حال، فلسنا في هذا المقام في سياق العد والحسبان الرياضي، فما يهمنا يتمثل بشكل رئيس بمقاربتنا البحثية التي عُنون الكتاب انطلاقاً منها.

لكن وقبل الانصراف الى معالجة هذه المقاربة، لا بد من الاسراع في القول أن ما توقعناه في دراستنا هذه قد تحقق، فالقوة السياسية والانتخابية والشعبية في كل تيار المستقبل مقتصرة فقط وفقط بشخص سعد الحريري، اما الباقون فليسوا مجرد أرقام بأرقام، لا أبدا، فهم العجلة التي لا تسير الا الى الوراء في زمن تقتضي الضرورات فيه السير نحو الامام وبسرعة حصان عربي أصيل.

لم يكابر سعد الحريري عندما أعلن عن مهرجان شعبي في بيت الوسط يوم الجمعة الحادي عشر من أيار، أسماه «مهرجان الانتصار»، ففي وقت كانت فيه كل الاحزاب الكبرى الفائزة تقيم احتفالاتها المركزية والفرعية، كان على سعد الحريري ان يظهر بمظهر المنتصر، ويعزز ذلك بخطاب قال فيه انه تحدى كل الامواج والرياح وكسر كل سياسات التطويق والحصار، وسبق ذلك تمترسه الدستوري الاستباقي، بأنه لا يعترف بعرف دستوري سوى بعرف توزيع الرئاسات الثلاث على الطوائف الثلاث، ليقول للجميع، انا قوي ولست بضعيف، فلا تحاولوا ابتزازي ومحاصرتي ثانية بشروط التأليف والتشكيل.

وبعد ان أدى فرضه السياسي هذا، عاد الى بيت المستقبل ليكتشف دقيقة بدقيقة حجم التقصير الداخلي ومقدار الكسل التنظيمي، فضلا عن صفقات البيع والشراء التي قام بها اناس لطالما عدوا صقوراً او مقربين، فإنطلق من المادة ٤١ من النظام الداخلي لتيار المستقبل لينجز جملة اقالات بدأت ولم تنته بعد، وكانت البداية بمدير مكتبه نادر الحريري فعين مكانه محمد منيمنة، واعقبها بماهر أبو الاخدود ووسام الحريري، ومجاميع من المنسقيات التي لطالما طرحت نفسها كرجالات تجلس في الصف الاول، ولا داعي لتعدادهم وذكرهم، فأسطر البحث بخيلة ولا تتسع الا للمهم.

ادرك سعد الحريري أخيراً لا متأخراً ان الذين سلمهم أمانة، بعضهم خانها، وبعضهم سمسر بها، وبعضهم عمل على توظيفها لعائد شخصي وخاص، ومن كان ينتظر من سعد الحريري ان يرشحه من أقصى عكار الى اقصى الجنوب، صعوداً في الجبل والبقاع، فجاءت حسابات الحصاد عكس حسابات الزرع، اتخذ بينه وبين نفسه قرار الرد، فحمل شعار: يوم الانتخابات منتحاسب يا سعد الحريري.

ليس هذا ما يهمنا على الاطلاق، فلو كان للحسابات الرياضية دورها السيادي، لما استطاع حزب الله الحامل لأقلية في انتخابات عام ٢٠٠٩ ان يحول النقصان في العدد الى اكثرية بمقادير وقوات اخرى. فالذي يهمنا هو

ما يفكر فيه الزعيمان حسن نصر الله وسعد الحريري، فالاول يريد اثبات ان شريحة واسعة من سُنّة لبنان فارقت الحريري وأوت اليه، والثاني يريد القول ان الذين خسرهم لم يربحهم حزب الله، فحجة من أقوى؟

هنا، تبرز أهمية لعبة الارقام، ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر دائرة بعلبك الهرمل، التي من بين مقاعدها العشر، يوجد مقعدان للسُنّة، وكانت النتيجة ان حزب الله والمستقبل تقاسما المقعدين، فنجح الوليد سكرية عن لائحة حزب الله وفاز بكر الحجيري عن لائحة المستقبل.

في هذه الدائرة وصلت نسبة الاقتراع الى حدود الـ ٦٠ في المئة، وكانت من أعلى نسب الاقتراع في لبنان، وذلك بسبب انكباب الغالبية الشيعية في هذه الدائرة على صناديق الاقتراع، فكان عدد المقترعين حوالي ١٨٧٠٠٠ الف، حيث نالت لائحة الامل والوفاء اي لائحة حزب الله وامل ١٣٤٠٠٠ صوتاً ولائحة الكرامة والانماء اي لائحة المستقبل والقوات ٣٥٠٠٠ صوتاً.

الذي يهمنا هو ان مرشحي الحريري نالا حوالي ١١٠٠٠ صوتاً، ٥٩٠٠ لبكر الحجيري و٤٩٠٠ لحسين الصلح. اما وليد سكرية مرشح حزب الله فحصد ٦٠٠٠ صوتاً. لنحلل معا هذه النتيجة[1].

في تحليلنا لهذه النتيجة، لا يمكن الانطلاق من ان ٦٠ في المئة من سنّة بعلبك – الهرمل قد اقترعوا، فالسنة في كل الدوائر لم يتجاوز الـ ٥٠ في المئة كحد أقصى.

وعندما نعلم ان عدد الناخبين السنّة في هذه الدائرة حوالي ٤٠٠٠٠، هذا يعني ان ٢٠٠٠٠ منهم قد اقترع.

وبالطبع لم تكن المنافسة بين هاتين اللائحتين فحسب، بل كان هناك لائحة الانماء والتغيير واللائحة المستقلة، وقد حصد مرشحوها السنيين حوال ٢٥٠٠ صوتا. ماذا يعني كل ذلك؟

يعني ان لائحة المستقبل حصدت سنياً تقريبا ضعفي اصوات لائحة حزب الله، هذا اذا سلمنا جدلا ان الـ ٦٠٠٠ صوت الذين نالهم وليد سكرية هم اصواتاً سنية. ماذا يعني ذلك؟

يعني ان الكتلة السنية الكبرى في بعلبك – الهرمل هي لسعد الحريري، بدليل فوز مرشح من لائحته وبدليل قدرة ماكينته في توزيع الاصوات بين الصلح والحجيري حيث كان الفرق في الاصوات بينهما أقل من ألف صوت.

ونكمل ونطرح السؤال: هل ان الـ٦٠٠٠ صوت التي حصل عليها الوليد سكرية، هي بسبب خطابه السياسي ام لأسباب خدماتية وعائلية كما هو حال جهاد الصمد او عبد الرحيم مراد؟ هنا نقوم مباشرة بقسمة عدد الاصوات على اثنين، وهو ما يعني انه لا يوجد اكثر من ٣٠٠٠ سني في بعلبك – الهرمل من أصل ٢٠٠٠٠، يؤيدون الخطاب السياسي لحزب الله، وهو ما يعني ان المشكلة تتكرر مرة اخرى عند حزب الله سنيا.

واذا ما أضفنا حقيقة تراجع تيار المستقبل في كل المناطق وحيثما وجد سُنّة، فهذا يعني ان تململ البعض من ممارسات المستقبل وسياسات سعد الحريري، لا يمكن ان يفسر ان البوصلة البديلة كانت حزب الله، واعتقد ان السيد نصر الله يدرك ذلك جيدا. لذلك لو وصل الاقتراع السني في بعلبك– الهرمل الى النسبة التي وصل اليها الاقتراع السني، لفاز الحريري بالمقعدين السنيين في حال تم الاقتراب من الحاصل الثالث، لأنه من أصل ٢٦٠٠٠ مقترع سيحصل على ١٨٠٠٠ صوتاً تقريباً بدل ١١٠٠٠.

وبذلك، نقول ان ما ينطبق على حزب الله ينطبق على تيار الحريري، فعندما تؤيدك اغلبية الطائفة على مساحة الوطن، فهذا يعني ان الاغلبية صوتت لموقف سياسي.

اما عندما تؤيدك فئة قليلة في منطقتك كما هو الحال في جهاد الصمد وعبد الرحيم مراد مثلا، فهذا يعني ان التأييد غير مبني على موقف سياسي، وانما على عوامل اخرى، وهذا أمر معروف بالنسبة للاثنين معا، فمراد اشترى النيابة بخدماته هو، والصمد وصلته النيابة عبر بوابة خدمات ضخمة سخرها له حلفاؤه في الشمال والجنوب. اما نجيب ميقاتي الذي حصد اربعة مقاعد، فهناك من اعتبر ان حصاده هذا لا يعني انه زعيم سني بدليل انه لا يوجد غيره سنياً من بين الاربعة، رغم ان الاحتواء السياسي دفع سعد الحريري الى مغازلة ميقاتي بالقول انه خير من يمثل طرابلس.

ويبقى القول: ماذا لو تعلم سعد الحريري من الدرس المر، فافترش بخدماته الرسمية والشخصية المساحة السنية؟

في هذه الحالة، سيكون ممسكاً بالفكرة السياسية من جهة وبالمفكرة الخدماتية من جهة ثانية. لننتظر ونراقب معا.

وتزامنا مع عمليتي الانتظار والمراقبة، يجب التنويه الى ان الاستشارات النيابية الملزمة دستوريا لتسمية رئيس الحكومة قد قام بها فخامة رئيس الجمهورية، وتم تكليف الرئيس سعد الحريري بـ ١١١ صوتاً من اعضاء مجلس النواب، وهو ما يعني ان كل الكتل النيابية في المجلس قد سمت الرئيس الحريري، بإستثناء كتلة حزب الله، التي لم تسمي احداً لرئاسة الحكومة. واذا كان طبيعياً ان لا يسمي حزب الله سعد الحريري فإنه من اللافت عدم تسمية الحزب لشخص اخر بوجه الحريري. فالحزب بذلك وقف وسطياً بين الاعتبارات السياسية المرتقبة وبين الاعتبارات الميثاقية التي دفعت باسيل استباقياً ومستقبلياً ليعلن تسمية كتلته وتياره لسعد الحريري باعتباره الاقوى في طائفته. انها الميثاقية التي رتب اخراجها الناطق غير الرسمي بإسم حزب الله سالم زهران عندما أوحى ان العشرة نواب سُنّة الذين نجحوا تحالفاً مع حزب الله لا يمثلوا تجمعاً او فكرة سنية تسمح لهم بالمطالبة بعدد نسبي لهم في التشكيلة الوزارية المرتقبة.

هوامش الكتاب

هوامش الفصل التمهيدي

١- انطوان ساروفيم، وظيفة الانتخابات النيابية في لبنان، الفارابي، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٧- ١٨

٢- «مازن شندب»، مخاطبة قانون الانتخاب للحقوق السياسية..أي مقاربة؟، ندوة عن قانون الانتخابات في رابطة البترون الانمائية، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١٨

هوامش الفصل الاول

١- «منير الربيع، «هل يستطيع حزب الله السيطرة على لبنان بعد الانتخابات»، المدن الجديدة، صحيفة الكترونية مستقلة، ٥-١-٢٠١٨

٢- ايلي القصيفي، «ماذا يريد حزب الله من الانتخابات، المرجع السابق، ٢-٢-٢٠١٧

٣- حسين عاصي، «هل يحضر حزب الله لانقلاب

بعد الانتخابات المقبلة»، موقع النشرة الالكتروني، ٢٣-١-٢٠١٨

٤- وسام سعادة، «حزب الله والانتخابات: نهاية التاريخ على الطريقة اللبنانية»، القدس العربي، ٢٦-٢-٢٠١٨

هوامش الفصل الثاني

١- ايمن عبد الله، «الخرق الشيعي هو الهدف الاول لخصوم حزب الله في بعلبك الهرمل»، الديار، ٢-٣-٢٠١٨

٢- يحيى جابر، «مبارزة سياسية انتخابية وتساؤلات عن سر نقلة حزب الله، الشرق، ١٦-٤-٢٠١٨

٣- بعلبك الهرمل في صراع المحاور، صدى الوطن، ٣-٢-٢٠١٨

٤- فايزة دياب، «ام المعارك في بعلبك الهرمل، المجلة، ٢٧-٣-٢٠١٨

٥- «ميليشيا حزب الله تجر الشيعة لحروب مذهبية خدمة للمشروع الايراني، مفكرون يؤكدون ان ما يصب في مصلحة طهران لا يصب في مصلحة الطائفة،

com.alyaum.www

٦- حركة امل، الهوية..التحالفات، سؤال في المستقبل، المركز المصري للبحوث والدراسات الامنية، ٢٨-٦-٢٠١٧

٧- محمد قواص، «امل وحزب الله: الثنائية المفخخة، العرب، ٢٠١٦

٨- محمد القواص، المرجع نفسه

هوامش الفصل الثالث

١- مقابلة مع الحاج كمال الخير، ٢١-٤-٢٠١٨

٢- دولة الرئيس نجيب ميقاتي، مقابلة على قناة روتانا خليجية، ٢٤-٣-٢٠١٨

٣- دولة الرئيس نجيب ميقاتي، مقابلة على قناة الجزيرة في برنامج لقاء اليوم، ١٢-١٢-٢٠١١

٤- دولة الرئيس نجيب ميقاتي، مقابلة على قناة روتانا خليجية، المرجع السابق

٥- ايلي فواز، «كلن على الحريري»، مقالة على الموقع، org.14march.www

٦-_مقابلة مع الاستاذ صالح مقدم، رئيس حركة العدالة والانماء، ٢٠-٤-٢٠١٨

هوامش الفصل الرابع

١- راجع الخطابات السياسية لرئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل

هوامش الخاتمة

راجع النتائج النهائية الرسمية للانتخابات النيابية ٢٠١٨ على موقع وزارة الداخلية والبلديات

الفهرس:

مقتطفات من الكتاب

"فالساكن في الوجدان الشيعي تاريخياً هو الإمام موسى الصدر والساكن في الوجدان الشيعي إمتداداً هو نبيه بري، أما حزب الله فمهما بلغ من قوة وتجحفل فهو في الوجدان الشيعي هيمنة طارئة يتلمسها شيعة لبنان وفق منطق اللاوعي..."

"أثبتت مجريات الحملات الإنتخابية ان سعد الحريري هو كل تيار المستقبل السياسي والإنتخابي والجماهيري.

أما تيار المستقبل فهو خيال، فلو كان واقعاً لما كان سعد الحريري مضطراً لمسك يد مرشحيه واحداً واحداً في مناطقهم وقراهم ومدنهم، ليسوقهم لجماهير عريضة لا ترى في عينها سوى سعد الحريري ولا تتقبل مرشحي الأزرق الا أكراماً لسعد الحريري.



